بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسـم الله الرحمــن الرحيم

مصدقا لقول الله عز وجل

"فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ"

مع آخر اللمسات في هذا العمل كان لزاما علينا أن نتوجه بالحمد والشكر للمولى تبارك وتعالى

أن من علينا بالتوفيق والعون لإتمام هذا العمل

وفائق الشكر موصول أيضا إلى كل من ساهم في إعداد هذا البحث من قريب أو من بعيد وأخص بالذكر كل من

الأستاذ الدكتور: سيد علي أحمد مسعود، الذي كان له فضل كبير بعد فضل الله تعالى والذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ودعمه رغم انشغالاته الكثيفة، جعله الله ذخرا يذخر به كل طلبة العلم.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من كانت له يد في إنجاز هذا العمل، كل من أفادنا ولو بالكلمة الطيبة أو الاستقبال الجيد.

إن أصبنا فمن الله وحده وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان

إهداء

إلى من حملتني تسع أشهر ...إلى من منحتني الحياة ...إلى ملاكي في الحياة ...إلى بسمتي وسر وجودي... إلى من رافقني دعاءها وكان سر نجاحي ... أمي حبيبتي

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار ...إلى من علمني العطاء دون الانتظار ...إلى من أحمل اسمه بافتخار ...أرجو من الله ان يمد في عمرك... أبي العزيز

إلى كافة إخوتي وأخواتي

إلى الزوجة الكريمة...والإبنة المدللة ...أماني

وإلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب وإلى كل من يعرفني

وشكرا

فاتح بن سالم

مقدمة:

مثل الوجود العثماني بالجزائر ولمدة ثلاثة قرون أهم الفترات التاريخية، ولقد تناولتها العديد من المؤلفات الأجنبية سواء كانت لقناصل أو رحالة أو أسرى، والتي يمكن اعتبارها إحدى المصادر التاريخية المعتمدة لدراسة تاريخنا.

وطيلة مدة مكوثهم بها وضعوا تأليف عديدة حولها، حيث تناولوا مختلف جوانب الحياة بها، في فترة كان للجزائر مكانة دولية وهيبة في البحر الأبيض المتوسط، جعلها محط أنضار العديد من الرحالة الأوروبيين، كما أسهب الأسرى من داخل سجون الجزائر في الحديث عن يومياتهم فتركوا من خلالها انطباعات وآراء وحقائق تاريخية عن البلاد.

وترجع دوافع اختيارنا لهذا الموضوع إلى أهميته وذلك لإعتبار الرحلة والأسر هي مصادر شهود عيان، وللإهتمام أيضا بما تركته هذه الفئة من الأوروبيين من أخبار عن تاريخ الجزائر.

ولقلة الدراسات التاريخية في هذا الجانب خلال العهد العثماني، وقع اختيارنا على هذا الموضوع، ولكون البحث يمس العديد من جوانب الحياة في المجتمع الجزائري من المنظور الأوروبي.

ومن خلال تصورنا للموضوع طرحنا إشكالية عامة تهدف لمعالجته كانت كالآتي:

- ما هو واقع الجزائر خلال العهد العثماني في ثنايا كتابات الرحالة والأسرى الاوربيين؟

ومن خلال هذه الاشكالية العامة نطرح جملة من التساؤلات وهي:

- ما هو تعريف الرحلة وماهي أنواع الرحلات الاوربية وماهي دوافعها؟

- ماهي أهم الرحلات الاوربية خلال العهد العثماني؟ وماهي مجالات بحثهم؟
- ماهية وضعية الاسرى الاوربيين في الجزائر خلال العهد العثماني؟ وماهي مضامين كتاباتهم؟
- ماهي أهمية كتابات الرحالة والأسرى الأوروبيين حول تاريخ الجزائر؟

ولدراسة هذا الموضوع والاجابة على كل هذه التساؤلات المطروحة. قسمنا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول.

حيث أن الفصل الأول جاء بعنوان**" الرحلات الأوروبية المفهوم والأنواع والدوافع"** والذي تضمن ثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول: تعريف الرحلة من الناحية اللغوية ثم الاصطلاحية، وعالج المبحث الثاني: أنواع الرحلات الأوروبية إلى الجزائر، أما المبحث الثالث: فتحدثنا عن دوافع هذه الرحلات.

أما الفصل الثاني فجاء عنوانه: **"نماذج من الرحلات الأوروبية إلى الجزائر خلال العهد العثماني "** وتندرج تحته ثلاثة مباحث، في المبحث الأول: تحدثنا عن نماذج من الرحلات الفرنسية، وكان من بينها رحلة فونتير دو بارادي ورحلة بوتي دولاكروا ورحلة الأب بيار دان، وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن نماذج من الرحلات الألمانية، ومنها رحلة العالم الالماني جوهان ارنست هابنسترايت وسيمون بفايفر، أما المبحث الثالث: فبعنوان رحلات أوروبية متنوعة، وأهمها رحلة الاسباني مارمول كاربخال ورحلة الانجليزي توماس شو.

وأما الفصل الثالث: فكان تحت عنوان **"أوضاع الأسرى الأوروبيين وكتاباتهم عن الجزائر في العهد العثماني"**، وتندرج تحته ثلاثة مباحث، تطرقنا في مبحثه الأول: إلى حياة الأسرى الأوروبيين في الجزائر العثمانية، ويليه المبحث الثاني: الذي تناولنا فيه نماذج من الأسرى وكتاباتهم عن الجزائر في العهد العثماني، أما المبحث الثالث: فتكلمنا فيه عن أهمية كتابات الرحالة والأسرى حول تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

ولقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال وصف كتابات الرحالة والأسرى الأوروبيين عن الجزائر، وتحليل ما كتبوه عنها في العديد من المجالات.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مادة علمية متأصلة في جملة من المصادر من أهمها:

- سيمون بفايفر وكتابه بعنوان" مذكرات جزائرية عشية الاحتلال"، ترجمة وتقديم وتعليق أبو العيد دودو، الذي يعد مصدرا أساسيا في دراستنا هذه حيث مس في رحلته الجانب السياسي والاجتماعي في الجزائر العثمانية، وقد أسهب خلالها في الحديث عن الإخوة بربروس وارتباط الجزائر بالباب العالي، وتطرق أيضا في هذا الكتاب إلى سقوط العاصمة الجزائر وخول الاستعمار الفرنسي إليها.
- ومن المصادر المهمة أيضا" رحلة العالم الالماني جوهان ارنست هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145ه – 1732م)"، وهو يعد مصدرا أساسيا لموضوعنا هذا، فقد قام بترجمته إلى العربية وتقديمه والتعليق عليه ناصر الدين سعيدوني، وفائدة هذا الكتاب تكمن في قيمة المعلومات التي أدلى بها الرحالة خاصة العلمية والتاريخية منها، وتتعدى أهمية الرحلة إلى حديثه عن الجغرافيا وأيضا العمران في مدينة الجزائر.
- وأيضا الرحالة مارمول كاربخال الذي ألف كتاب "إفريقيا"، ونظرا لما كتبه هذا الرحالة، أدرجناه كمصدر رحلة مهم لأنه تجول في الجزائر خلال القرن السادس عشر ميلادي، ودون العديد من المعارف والمعلومات عنها، خاصة في الجانب السياسي والاجتماعي

أما المراجع المستخدمة في انجاز هذا البحث نذكر منها:

- جون ب.وولف في كتابه" الجزائر وأوروبا 1500-1830"، يحتوي هذا الكتاب على وصف دقيق لبعض الحقائق التاريخية للجزائر العثمانية، كما استخدمناه في ذكر عادات وتقاليد الجزائريين والتعريف ببعض الرحلات التي كانت خلال هذه الفترة.
- زكرياء العابد في مذكرته بعنوان " الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية "، وهي مذكرة ماجستير احتوت هذه الدراسة على رحلات أوروبية للجزائر في العهد العثماني، وموضوعنا خدمته هذه الدراسة كثيرا، فأخذنا عنه التعريف ببعض الرحالة الأوروبيين الذين جاءوا إلى الجزائر في العهد العثماني.
- وناصر الدين سعيدوني في كتابه " النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830 "، الذي استعملناه في الحديث عن فئات المجتمع الجزائري واقتصادها في العهد العثماني.
- وغير ذلك من المراجع والدراسات التي وظفناها بكل عناية ودقة.

وتصادف أي باحث مجموعة من الصعوبات والعراقيل من أجل انجاز بحثه ومن بين الصعوبات التي واجهتنا هي:

- تشعب الموضوع بين كتابات الرحلات والأسرى.
- المادة العلمية المتخصصة باللغة الاجنبية وقلتها بالغة العربية.
- ضيق وقصر مدة انجاز البحوث التي لا تكفي للبحث الدقيق.
- صعوبة التنقل إلى مراكز البحث والمكتبات البعيدة والارتباط بمهنة التدريس.

وفي الأخير أتوجه بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف سيد علي أحمد مسعود الذي لم يدخر جهدا في إرشادي وتوجيهي والذي لولا توجيهاته العلمية الدقيقة لما تمكنت من انجاز هذا البحث.

المبحث الأول: تعريف الرحلة

1-لغة:

تنوعت المفردات الدالة على كلمة الرحلة، فذكر القرآن الكريم ذلك ومنها: الإسراء والسفر والهجرة والسير،[1] فجاء في سورة الأنفال قوله تعالى «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حتى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».[2]

وقال تعالى أيضا: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».[3]

والرحلة في اللغة نالت اهتماما خاصا باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع ونابعة من واقع البيئة العربية.[4]

وقيل أيضا في مادة" رحل": ارحل الرجل، كثرت رواحيله، ترحل القوم عن البلد، انتقلوا عنه والرحال والرحالة: الكثير الرحلة،[5] والرحلة أيضا المكان الذي يقصده الإنسان" الرحلة والإرتحال.[6]

وهكذا يتجلى بوضوح أن كلمة الرحلة تعني بالضرورة الحركة والوسيلة والانتقال من مكان إلى آخر.

-سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص17.

[2]-القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية:67.

[3]-القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية:01.

[4]-ابن منظور، لسان العرب، مج05، ط04، بيروت، ص123.

[5]-عبد الله البستاني، الوافي، معجم وسيط للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1990، ص226.

[6]-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج03، دار الجيل، بيروت، ص 394.

2-تعريف الرحلة اصطلاحا :

الرحلة هي انتقال واحد أو جماعة أو عائلة أو قبيلة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، فانتقال القبيلة أو الأمة لسبب جذب بلادهم وضيقها أو لاضطهاد وقع عليهم أو لحروب اتلفت أرزاقهم،[1] والرحلة تضل إنجازا أو فعلا، أو اسقاط الفاصل أو الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه والمكان الذي تنتهي إليه.[2]

والرحلة هي حديث عن مجتمع يختلف عن مجتمع الرحالة في العادات والتقاليد وفي النظرة والمعتقد، فيجب ألا يقتصر الحديث عما يجلب المتعة العابرة أو مجرد وصف لمشاهدات بلا معنى أو رمز،[3]وهي وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان، وتوسيع خبرات الرحالة ومعارفه. [4]والرحلة منة من الله ونحلة تكسب غليظ الطباع غاية الدقة والانطباع وتعقب من كابدلها نصبا، علما عزيزا وأدبا.[5]

من خلال ما سبق نستنتج أن الرحلة تتعدد مفاهيمها اللغوية والاصطلاحية لكن القصد منها هو الانتقال والحركة الصادرة عن الشخص.

---

[1]-زكريا العابد، الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوروبية، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001، ص 15.

[2]-صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين جغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص10.

[3]-عبد الله ركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص183.

[4]-حسين محمد فهيم،" أدب الرحلات" سلسة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص15.

[5]-ابن زاكور الفاسي، نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، ص40.

المبحث الثاني: أنواع الرحلات الأوروبية

زاد اقبال الاوربيين على الرحلة فتعددت معها الاهداف واختلفت بذلك انواعها ومنها:

1-الرحلة الفردية:

وتنطوي تحت هذا النوع من الرحلات، الرحلة العلمية والرحلة الاستطلاعية، فأما الرحلة العلمية فهي تلك التي يقوم بها أصحابها من أجل طلب العلم والاطلاع على البلدان،[1]ولقد تفننوا في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي،[2]والرحلة العلمية تتعدى إلى الكشوف الجغرافية، ومن الرحلات الأوروبية إلى الجزائر، نذكر رحلة الطبيب بايسونال،[3](J. Apeyssonnel) في سنة 1724-1725. فقد وجد في شمال إفريقيا المكان المناسب لمواصلة دراسته حول الطاعون،[4]

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 382-389.

[2]-مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص10.

[3]-جون اندري بايسونال: ولد بمرسيليا وجاء إلى سواحل شمال إفريقيا خلال سنتي 1724-1725، في إطار مهمة علمية لدراسة طبيعة المرجان وكذلك لإتمام أبحاثه حول الطاعون الذي توفي به والده، باعتباره كان طبيبا كذلك، وأثناء الوباء الذي عم مرسيليا سنة 1720م، ألف كتابه حول رحلته سماه" قصة رحلة على سواحل بربارة"، وقد شمل العديد من الملاحظات العلمية الهامة بالإضافة إلى محاولة لفهم النظام السياسي بالجزائر، وقد زار عدة أماكن وهران، قسنطينة والجزائر، وأقام لمدة سنة واحدة.

[4]-الطاعون: عرفت مقاطعة الجزائر كغيرها من الاقاليم الاخرى انتشار مرض الطاعون في سنوات من1799 إلى 1804

لمزيد من المعلومات انظر محمد الزين، "نظرة على الاحوال الصحية بالجزائر العثمانية في اواخر عهد الدايات"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17، 2012، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص 129.

بالإضافة إلى رحلة دي فوتسين (L. R Desfoutcine)الذي اهتم بالنباتات والأزهار والأرض الخصبة من 1783 إلى 1786م،[1] وأما الرحلة الاستطلاعية فتكون غاية الرحالة معرفة أحوال الأمم وحب الاطلاع على العجائب والنوادر التي تخالف ما تعود عليه في بلاده، ومن أبرز الرحلات الاستطلاعية الأوروبية إلى الجزائر، نذكر رحلة الروسي كوكو -فتسوف(Cyrigorievitch Kokovtsov) عام 1787م،[2] وكان هدفه الإستعلام عن القوات البحرية الجزائرية.[3]خلال هذه الفترة.[4]

[1]-زكريا العابد، المرجع السابق، ص ص 54-56.

[2]-كوكو فتسوف : ضابط في البحرية الروسية شارك في محاربة الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط، زار عنابة سنة 1787م، وكتابه بعنوان أخبار موثوقة عن الجزائر، أنظر : عبد العزيز بوباكير، "الرحلات الروسية إلى الجزائر"، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 1997، ص153.

[3]-كان لتطور و تفوق البحرية الجزائرية الأثر الإيجابي في تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجزائر، وذلك من خلال الفوائد التي حصلت عليها خزينة الدولة خلال تلك الفترة، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة،المرأة ، تقديم محمد العربي زبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 80.

[4]-زكريا العابد، المرجع السابق، ص 16.

2-الرحلة السياسية:

والتي يكون صاحبها موفدا من قبل ملوك أو حكومات أوروبا للإطلاع على الأوضاع في بلد ما ومعرفة سبل غزوه أو على الأقل الحد من خطره على مصالحهم بعقد الإتفاقيات معه.[1]ومن هذه الرحلات إلى الجزائر نذكر رحلة: ج، ب، سالفاغو[2]، والذي كلف بمهمة من مجلس شيوخ البندقية لتحرير الأسرى والتي كللت بالفشل .[3]

3-الرحلة السفارية:

ظهر هذا النوع من الرحلات خلال القرن السادس عشر، [4]تنفذها شخصيات رسمية وتكون غاية صاحبها القيام بسفارة لدى دولة أجنبية،[5] ومن الرحلات الأوروبية في هذا الجانب رحلة فونتير دوبارادي[6](Venture Deparadis)، الذي أرسل لمساعدة القنصل الفرنسي أثناء مفاوضاته مع الداي محمد عثمان ب اشا7 عام 1789م. [8]

---

[1]-ميشيل أبار، "الجزائر في القرن التاسع عشر لرحالة أسكتلندي"، ترجمة، حنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، ع 03، الجزائر، 1971، ص 46.

[2]-سالفاغو جون باتيسيت: ترجمان إيطالي وظيفته مرافقة المسؤولين السامين للبندقية أثناء تنقلهم إلى دول المشرق، حيث كلف من قبل مجلس الشيوخ في البندقية بمهمة في شمال إفريقيا، ليفاوض كل من ديوان إيالة الجزائر وتونس من أجل إعادة الأملاك والأشخاص الذين أسروا على إثر الغزوة التي قامت بها ستة سفن جزائرية وسبع سفن تونسية على بعض الجزر التابعة للبندقية في جوان 1627م. فجمع معلومات دقيقة عن وضع الإيالتين ووضع تقرير مفصل ضم كل ما طلبه من معلومات، وكانت مدة إقامته أربعة أشهر.

[3]-زكريا العابد، المرجع السابق، ص 43.

[4]-مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 11.

[5]-محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير(1690-1691)، قدمها نوري الجراح، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2002، ص 14.

[6]-جون ميشال فونتيردوبارادي: ولد يوم 08 ماي 1739م، بمرسيليا من أم يونانية وأب كان يعمل كترجمان في العديد من قنصليات فرنسا بالمشرق، ولم يكد يبلغ الثالث عشر، تحصل على منحة دراسية إلى باريس لتعلم اللغة التركية والعربية، إضافة إلى اللاتينية، أرسل فونتير إلى الجزائر عام 1788م، توفي بمرض خطير في 15 ماي 1799م.

[7]-الداي محمد عثمان باشا: تولى الحكم بعد الداي علي باشا حكم بين سنة 1766و 1791، انظر: احمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر(1754-1830)، تح. أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 15.

[8]-ودان بوغفالة،"أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني دراسة في النشاط الاقتصادي والبيئة الاجتماعية والحياة الثقافية"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006 2007، ص 50.

4-الرحلة الإضطرارية:

وهي التي يكون فيها صاحبها مخيرا أو مرغما أن يأخذ وجهة لم يكن قد خطط لها من قبل، بل ولم تخطر على باله، كأن تقطع رحلته الأصلية، فيقع في الأسر ثم يجد نفسه في رحلة اجبارية نحو المجهول، كما حدث لإمانويل دارندا، [1] الذي وقع في الأسر هو ورفاقه لمدة قاربت السنتين وكان ذلك إلى غاية 24 مارس 1642م.

5-الرحلة الدينية:

ويكون الدافع للرحلة الدينية روحيا بقصد زيارة الأماكن المقدسة،[2] أو لتحرير وافتداء الأسرى،[3] مثل رحلة الأب بياردان،[4] التي كلف بها في شمال إفريقيا، حيث تمكن من الإبحار إلى الجزائر وتحرير اثنين وأربعين أسيرا عاد بهم إلى فرنسا وتمكن من جمع مادته الأولية من المعلومات لكتابه المعنون ب:" تاريخ بربارية وقراصنتها"،[5] الذي نشر بباريس سنة 1637م، إضافة إلى رجل الدين فرانثيسكوخيمينث الذي كان مولعا بجمع المعلومات وتسجيلها فحاول بناء مستشفى في وهران فرفض الباي ذلك، فتحول إلى تونس حيث لم يجد الصعوبة التي وجدها في الجزائر، ويومياته محفوظة بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد وتتكون من سبع مجلدات، ثلاثة منها تخص رحلته إلى الجزائر من 1717-1720م.[6]

---

[1]-امانويل دارندا: من أشهر رجال فلاندرة، قبض علية قراصنة أتراك يوم 22 أوت 1640م، بسواحل بريطانيا، وبعد سنتين من الأسر بمدينة الجزائر، حيث وصف سكان الجزائر بأقبح الصفات وأسوء الأخلاق، من أصل أراغوني-شمال شرق إسبانيا.

[2]-ميشيل أبار، المرجع السابق، ص 47.

[3]-افتداء الأسرى: تعتبر هذه العملية صفقة تجارية، فإطلاق سراح هؤلاء الأسرى يتم عادة بواسطة دفع الفدية وليس بالقوة، وتتم في الغالب عن طريق رجال الدين الذين كانوا منتدبين للفداء، فكانوا يشرفون على جمع الأموال اللازمة للعملية، بالإضافة إلى أموال أولياء الأسرى، لمزيد من المعلومات أنظر: بليل رحمونة، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية(1564-1830)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران(2010-2011)، ص ص 192-193.

[4]-الأب بياردان: مؤرخ فرنسي حائز على شهادة البكالوريا في علم اللاهوت (Théologie)، من كلية باريس، كاهن ورئيس دير الثالوث المقدس الذي أسس بقصر فونتا بولو في القرن الثاني عشر ميلادي.

[5]القرصنة: "عند الاوربيين هي امتداد للحروب الصليبية وذلك نظرا لأسبابها الدينية والعاطفية وجهاد البحري عند المسلمين مع هذا فإنها بعيدة كل البعد عما يلصقه بها الاوربيون من انها لصوصية واعتداء وتعدي على القوانين الدولية، لمزيد من المعلومات انظر: ناصرالدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800–1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1979، ص66.

[6]-سيد علي بغداد، الجزائر من خلال الرحالة الأوروبيين في العهد العثماني، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، 2016-2017. ص22.

المبحث الثالث: دوافع الرحلات الأوروبية

1-الدوافع السياسية

وكان هدفها توثيق العلاقات السياسية بين الدول عبر تبادل الآراء حول شؤون السلم والحرب ومناقشة المعاهدات والإتفاقيات، وقد تكون تمهيدا لغزو أو إحتلال في إطار الجوسسة التي كانت تمثل أحد جوانب الصراع الجزائري الأوروبي في الجزائر العثمانية.[1]

لقد كانت أطماع الدول الأوروبية كإسبانيا وبريطانيا وفرنسا وهولندا كبيرة لاحتلال الجزائر خاصة بعد أن تضررت مصالحهم التجارية التي ضربتها البحرية الجزائرية في الصميم، ولهذا كانت الأوضاع السياسية الداخلية غير خفية على الأوروبيين لكثرة ما كان لهم من مخبرين رسميين كالقناصل والتجار، وغير رسميين كالجواسيس والسياح.[2]

كان للرحالة والأسرى دور كبير في ذلك خاصة أولئك الموجودين في سجون الجزائر أو العاملين في قصور الدايات، بالإضافة إلى أولئك المقيمين تحت غطاء التجارة أو دراسة الآثار والنباتات والحيوانات أو في إطار البحوث الطبية.[3]

ولقد كان من أهم نتائج وجود الجالية الأوروبية على الأرض العربية هي النتيجة السياسية التي تلخص بأنها كانت مقدمة استطلاعية للاحتلال السياسي.[4]

---

[1]-سيد علي بغداد، المرجع السابق، ص ص 29 -30.

[2]-عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999، ص 19.

[3]-أحمد السليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، دار حلب، الجزائر، 1994، ص 71.

[4]-ليلى الصباغ، وضع الجاليات الأوروبية في العالم العربي الإسلامي إبان الحكم العثماني، مجلة الأصالة، ع 25، الجزائر، 1975، ص 135.

واستغلت أوروبا جانب الجوسسة إلى أقصى حد، واضعة نصب أعينها احتلال مدينة الجزائر، التي استعصت عليها مدة ثلاثة قرون، فها هو ميقال دي سرفانتاس،[1] ما إن تم افتداءه بواسطة الترينيتارين،[2] (Trinitaires) في أكتوبر 1580م، حتى يعود إلى الجزائر بعد أقل من ثمانية أشهر من تحريره مبعوثا من ملك إسبانيا والبرتغال فليب الثاني،[3] إلى الحاكم العام بوهران دون مارتين دي كوردوبا [4] في مهمة خاصة، ووقع عليه الإختيار لمعرفته بأحوال البلاد والعباد في هذه المدينة وهو الذي قضى بها خمس سنوات أسيرا،مما سيساعد إسبانيا في مخططاتها لضرب أو احتلال الجزائر أو على الأقل المحافظة على مستعمراتها [5]في قلب الحكم العثماني بشمال إفريقيا ومدينة وهران.[6]

---

[1]-سرفانتاس دي ميقال، صاحب رائعة الدون كتشوت أسر هو وأخوه رودريقو (Rodrigu) من طرف الريس مامي ارناووبا كان على متن سفينة الشمس في 26سبتمبر 1575م بقي في الاسر لمدة خمسة سنوات من 1575الى 1580 افتداه أحد الاباء ب 500 ايكو ومن مؤلفاته" الحياة في الجزائر " la vie à Algerوكتاب "سجون الجزائر" les bagnes d'Alger لمزيد من المعلومات انظر: عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ الى 1962، ج02، الجزائر دار المعرفة ،2006، ص232.

[2]-الترينيتارين: طائفة أسسها سان جان ماتا (St Jean De Matta) وسرعان ما وجدت التشجيع والمساندة من طرف البابوات والملوك المسيحيين، فانتشرت في كامل أوروبا وأسيا، وذلك لأن هدفها الأساسي كان المداواة وافتداء الأسرى، بلغت قمة إشعاعها خلال القرن السادس عشر ميلادي وهو القرن الذي حميت فيه الحروب بين المسلمين والمسيحيين لمعلومات أكثر أنظر، الهادي الوسلاتي المستشفى الترينتاري الإسباني بتونس. م. ت. م. ع 22/21، تونس، 1981، ص167.

[3]-فيليب الثاني، فيليب الثاني (بالإسبانية: Felipe II) (21 مايو 1527 -13 سبتمبر 1598)، ملك إسبانيا (1556-1598)، وملك نابولي وصقلية (1554-1598)، ملك بين عامي(1554–1558)، (حاصل على مختلف تك الالقاب وملك البرتغال والغرب (باسم فيليب الأول) من 1580 حتى 1598م، أنظر: *https://ar.wikipedia.org/wiki*

[4]-دون مارتين دي كوردوبا: ولد في1سبتمبر1453، مونتيا، قرطبة، إسبانيا-توفي في 2 ديسمبر 1515، لوشة، غرناطة، إسبانيا). أنظر:*https://ar.wikipedia.org/wiki*

[5]-احتلت اسبانيا وهران سنة 1509م، بقيادة بيدرو نافارو(Pedro Navarro) واحتلت قبلها مدينة المرسى الكبير سنة 1505م.

[6]-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792)، ش ون ت، ط 02، الجزائر، 1976، ص 86.

ومن الكتابات التي تؤكد نوايا الرحالة الأوروبيين التجسسية في الجزائر ما أشار إليه الرحالة الإسكتلندي المغامر وليم ليثغوا الذي زار الجزائر سنة 1615م،حيث قال " أنها مدينة تقع على سفح ربوة شديدة الإنحدار، وهي محصنة جيدا من ناحية البحر بالأسوار والتلال والمدافع...."[1] كما بين من خلال أقواله نقطة الضعف الدفاعية للمدينة، أي المكان المناسب لدخول القوات المعادية، وبعدها راح يختار الزمان المناسب لذلك، فيقول " إن السكان الأتراك في جميع المدن يهربون من الحر الذي لا يطاق في السهول الساحلية إلى المرتفعات في شهور جويلية، أوت، سبتمبر، وهي أحسن فترة للمسيحيين إذا أرادوا الدخول إليها."[2]

أما الأب الترينيتاري فرانثيسكو خمينيث،[3] الذي جاء إلى الجزائر من أجل افتداء الأسرى وبناء مستشفى لهم بوهران، فقد ألف ثلاثة مجلدات تخص رحلته إلى وهران والجزائر من 1717 إلى 1720م،[4]وكانت وهران قد استرجعت من طرف الأتراك عام 1708م،[5] وبقيت مدة 24 سنة تحت حكم الباي مصطفى بوشلاغم،[6] قبل أن تسقط مرة أخرى في يد الإسبان عام 1732. [7]

---

[1]-ميشيل أبار، المرجع السابق، ص 48.

[2]-نفسه، ص 48.

[3]-فرانثيسكو خيمينيث: مولود عام 1685 وهو من الآباء البيض الإسبان الترينيتارين، الذي زار وهران عام 1732، ترك معلومات دقيقة عن الإيالة، تولى مهمة مداواة الأسرى الإسبان وافتدائهم والتفاوض مع رجال السلطة العثمانية في كل ما يتعلق بالأسرى أنظر: احميدةعمراوي، المرجع السابق، ص 10.

[4]-Pierre Grand champ، une mission de hicate en barbarie en XVII[e]siècle (Jean Baptiste sabragodroguau vénitien، à Alger et à Tunis, 1625)، Jaloccio Tunis, 1938، p.p.3.4.

[5]-كانت الجزائر يقضة اتجاه الجوسسة الأوروبية والحصول على أخبار الأعداء بواسطة رجال الإستخبارات الجزائرية في الدول الغربية نفسها كإسبانيا وفرنسا أنظر، أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 72.

[6]-الباي مصطفى بوشلاغم: كان الباي مصطفى بوشلاغم مقداما عازما على استرجاع مدينة وهران من الإسبان، فوجد من محمد بكطاشي (داي الجزائر عام 1707م-1710) ومن الخزناجي ووزيره وصهره آذانا صاغية لتنفيذ ما عزم القيام به أنظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 455.

[7]-نلاحظ أن توقيت زيارة الأب خيمينيث كان في فترة حرجة ما لبثت أن احتلت وهران مرة أخرى بعد مغادرته الجزائر بإثني عشرة سنة، مما يرجح أن تكون الجوسسة من ضمن مهامه التي جاء من أجلها إلى الجزائر أنظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 455.

وقد أقام الضابط بوتان [1] سنة 1808م، في الجزائر على أساس أنه من هواة الآثار واستقبل من قبل القنصل دوفال في مدينة الجزائر فقام بفحص المدينة، من رأس تمنفوست إلى سيدي فرج، وحصل على معلومات هامة خارج الحدود المسموح بها للأجانب بزيارتها واستطاع أن يخدع يقظة الشرطة والتي كانت تعتبر أحسن وأدهى شرطة في ذلك العهد، وقدم لبلاده عملا كان من المصادر الرئيسية التي عول عليها منظمو حملة عام 1830م،[2]

وتعتبر الجوسسة اذا عملا بديهيا في عمل معظم الدبلوماسيين الاوربيين ،[3] فالقنصل لومير(Lemaire)، عند مغادرته للجزائر، ترك توصيات لخليفته بيرو(Perou)، بضرورة التقرب من العناصر النافذة في الحكم وذلك بغرض معرفة ما يجري في اجتماعات الديوان والقصر، و يجب أن يكون لديه عيون وجواسيس في كل مكان وذلك من خلال استعمال الأسرى المسيحيين الذين يعملون داخل القصر مقابل وعدهم بالإفتداء، وبذلك فإن القناصل وهيئة الموظفين في القنصليات الأوروبية في الإيالة يقومون بدور مراقبة شؤون الجزائر الداخلية وعلاقاتها الخارجية .[4]

---

[1]-الضابط بوتان، ولد في يناير 1772م في قرية لورو بروتون بنانت، كما قام بعدة مهام تجسسية في الجزائر سنة 1808 وقد خدمت تلك المهام الغزو الفرنسي للجزائر لاحقاً في عام 1830م، أنظر: https://ar.wikipedia.org/wik

[2]-أحمد السليماني، المرجع السابق، ص ص 71-72.

[3]-من الواجبات الأساسية للقناصل والمبعوثين هي المصلحة الوطنية، فمن بين الأدوار الخفية هو دور الجوسسة واطلاع حكوماتهم بكل ما يتعلق بأمور الإيالة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، ففرنسا أصدرت مرسوما ملكيا في 03 مارس 1781م، والخاص بالقنصليات الفرنسية في المشرق وشمال إفريقيا، وتشيرالمادة الرابعة عشر منه بأنه يجب على القنصل أن يحرر مذكرة في نهاية كل سنة حول البلاد التي عين فيها أنظر: بفور فريد، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر(1782-1830)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص59.

[4]-بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 151.

2-الدوافع الإنسانية والدينية

يرتبط هذا الدافع بالأسرى الموجودين في الجزائر فقد بلغ عددهم حدًا كبيرًا، نتيجة الحرب البحرية بينها وبين أوروبا، فكانت سفن البحارة الجزائريين تقوم إلى جانب الاستلاء على سفن الأعداء وغنائم أخرى من شتى الأنواع، على إستعباد الرجال المأسورين من الملاحين والمسافرين على ظهر تلك ال سفن[1]. فيما بين القرن السادس عشر والقرن السابع عشر.[2] وكان عدد الأسرى بين سنة 1520-1660م، حوالي ثلاثة آلاف أسير وبلغ بين سنة 1660-1830م، أقل من ألفين أسير.[3] ومثل الأسرى الأوروبيون إذا جزءاً لا يتجزأ من موارد الخزينة الخارجية.[4]

وقد أوجدت دول أوروبا عدة تنظيمات خاصة لعملية افتداء الأسرى، كتنظيم الثالوث المقدس، وتنظيم سيدة الرحمة، والتنظيم اللامركزي،[5]وتعمل هذه التنظيمات على جمع مبالغ مالية بمساهمة من الملوك ورجال الدين، [6]وذكر الشريف الزهار أن عملية الافتداء كانت بألف دورو[7]لكل رأس.[8]

---

[1]-عندما تصل الغنائم إلى ميناء الجزائر يقوم وكيل الحرج بإحصائها فيحصل الداي على الثمن $^1/_8$من هذه الأسرى ويساق البقية إلى سوق البادستان (Badistan) حيث يخضعون للبيع الأول عن طريق المزاد، ثم البيع الثاني عن طريق الإفتداء، أنظر: بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 189.

[2]-سالفاتوري بونو، وضع الجاليات الأوروبية في المغرب قبل الإستعمار، مجلة الأصالة، العدد 25، الجزائر، 1975، ص ص 144-146.

[3]-جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، ترجمة وتعليق، ابو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 207.

[4]-محمد الأمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012م، ص 100.

[5]-تنظيم الثالوث المقدس: أسسه جون دوماتا وفليكس دوفالو في 28 جانفي 1193م، وتنظيم سيدة الرحمة، تأسست في 10 أوت 1218م، على يد القديس بيير دولاسك، التنظيم اللامركزي، أسسه فادسان دوفالو، ونشط خلال القرن 17م، أنظر حفيظة خشمون، "مهام مفتدي الأسرى وإلتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية"، رسالة ماجيستر، التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص ص 32-42.

[6]-حفيظة خشمون، المرجع نفسه، ص 56.

[7]-الدورو: وهو عملة اسبانية سيطرت على الأسواق بسبب وجود معامل مختصة لها، وقد تزودت بها أسواق التعامل النقدية بالمدن الرئيسية للمغرب العربي كبجاية ووهران وتونس وكانت العملة الإسبانية هذه في المرتبة الأولى من حيث التعامل بالنقود الأجنبية، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي... المرجع السابق، ص 197.

[8]-أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 27.

كما تتدخل الدول الأوروبية لتحرير أسراها عن طريق البعثات والوفود السياسية،[1]وكذلك تقوم ببناء المستشفيات لهم،[2] لما تميزت به الفترة العثمانية بالجزائر عموما من سوء الأحوال الصحية، بانتشار العدوى والأوبئة،[3] فمن الأمراض المنتشرة خلال هذه الفترة نذكر "الكوليرا –الحمى الصفراء(التيفوس)-الجذري-الطاعون".[4]

ووضح كاثيكارت[5] قيمة العمل الإنساني الذي كانت تقوم به هذه المؤسسات الاستشفائية حيال الأسرى، وأن لولاها لم يكن أمامهم من بديل سوى الموت المحقق في الشوارع أو في مستقر أعمالهم أو في السجن.[6]

وقد جاء العديد من الرحالة الأوروبيين في إطار رحلات الفداء فالبعض كان من ضمن أولوياتهم تحرير الأسرى، بينما اكتفى البعض الاخر بالكتابة عنهم والإشارة إلى أحوالهم المادية والمعنوية.[7] فقام الأب دان في رحلة الفداء إلى الجزائر بتحرير اثنين وأربعين أسيراً فرنسيا عاد بهم إلى فرنسا في شهر مارس من سنة 1635م. ورحلة توماس هيز بعد ثمانية عشر شهراً من وصوله إلى الجزائر قام بافتداء 197 أسيراً هولنديا، عادوا معه على متن سفينتين حربيتين.[8]

---

[1]-سالفاتوري بونو، المرجع السابق، ص 146.

[2]-جيمس كاثيكارت، مذكرات أسير الداي كاثيكارت قنصل امريكا بالمغرب، ترجمة وتقديم وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص 103.

[3]-ناصر الدين سعيدوني،" ورقات جزائرية" دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، الجزائر، ص 415.

[4]-مصطفي خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 50.

[5]-كاتيكارت: وقع في الأسر بعد الاستلاء على السفينة الأمريكية (ماريا بوسطن في جويلية عام)1785، وقد قام بدور الوساطة بين داي الجزائر وسفراء الدول الأوروبية، ينظر: احميدةعميراوي، المرجع السابق، ص ص 19-20.

[6]-جيميس كاثيكارت، المصدر السابق، ص 103.

[7]-ميشيل آبار، المرجع السابق، ص 48.

[8]-بغداد سيد علي، المرجع السابق، ص31.

3-الدوافع السياحية والاقتصادية.

لم تخل القائمة الطويلة للرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجزائر وأقاموا بها خلال العهد العثماني من أولئك الذين ما جاؤوا إلى الجزائر إلا بدافع روح المغامرة وحب الاستطلاع ورغبة في دارسة أحوال الشعوب ومعرفتها وحباً للسفر ذاته، الذي يمكنهم من تغيير الأجواء وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة.[1]

ومن بين هؤلاء الرحالة والمغامرين وليم ليثغو ومارمول كاربخال، وللاشارة فان الأحداث البارزة خلال هذه الفترة لم تكن مناسبة للسياحة والترحال، مثل الحملة الإسبانية الفاشلة على الجزائر، والوباء الذي فتك بالمنطقة زائر، ومن ثم انتقل إلى جنوب فرنسا، واضافة الى ذلك الجفاف الذي استمر من 1611م إلى 1612م.[2]

[1]-فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة، 2002، ص 20.

[2]-ميشيل آبار، المرجع السابق، ص ص 312-326.

وكان الدافع الاقتصادي من أهم أسباب الرحلات الاوربية وهذا لما للتجارة وتبادل السلع من فوائد جمة، إلا أن اعتماد الجزائر الكبير كان على نشاط البحرية والذي كان يوفر لها كل ما تحتاجه ويخول ايضا لها استرقاق الأسرى المسيحيين ثم فديتهم بمبالغ كبيرة، إضافة إلى نظام الإتاوات،[1] والهدايا الإلزامية الذي كان يزودها بباقي احتياجاتها الضرورية.[2]

أما الجانب الأوروبي فقد كان مهتما بالعلاقات التجارية مع الجزائر، فتمكن الفرنسيون من إقامة شركة تجارية مختصة في صيد المرجان واستبدال المحاصيل والسلع التي تندر في بلادهم،[3]

وكان التجار الأوروبيون يشترون مغانم القرصنة لشحنها من جديد إلى أوروبا ويقومون بدور الوسطاء في عملية شراء الأسرى، حيث يعود عليهم هذا النشاط بأرباح معتبرة.[4]

---

[1]-الإتاوات: هي الجزية المأخوذة كرها، يأخذها الغالب من المغلوب، أنظر، مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط01، مؤسسة الرسالة، 1996، ص 17.

[2]-سامح عزيز التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1989، ص 145.

[3]-نفسه، ص ص 152-153.

[4]-سالفاتوري بونو، المرجع السابق، ص 146.

الفصل الأول: الرحلات الأوروبية (التعريف –الأنواع–والدوافع)

- ✓ **المبحث الأول:** تعريف الرحلة
- ✓ **المبحث الثاني:** أنواع الرحلات الأوروبية
- ✓ **المبحث الثالث:** دوافع الرحلات الأوروبية

الفصل الثاني: نماذج من الرحلات الأوروبية

- ✓ **المبحث الأول:** الرحلات الفرنسية
- ✓ **المبحث الثاني:** الرحلات الألمانية
- ✓ **المبحث الثالث:** رحلات أوروبية متنوعة

الفصل الثالث: الأسرى الأوروبيون وكتاباتهم عن الجزائر خلال العهد العثماني

- ✓ **المبحث الأول:** ظاهرة الأسر في الجزائر خلال العهد العثماني
- ✓ **المبحث الثاني:** أوضاع وكتابات الأسرى الأوروبيين
- ✓ **المبحث الثالث:** قراءة في أهمية الكتابات الأوروبية عن تاريخ الجزائر العثمانية

مقدمة

خاتمة

قائمة المصادر

و

المراجع

الفهرس

المبحث الأول: الرحلات الفرنسية

سارع الرحالة الفرنسيون إلى إيجاد مكان لهم خلال هذه الفترة المهمة بالنسبة لأوروبا، في فترة كان البحر الأبيض المتوسط منطقة صراع دائم بينها وبين الدولة العثمانية ، فقد كان لهؤلاء الرحالة والمغامرين الدور الكبير في تسليط الضوء على الكثير من خبايا الجزائر، ومن أبرز الرحالة الفرنسيين نذكر:

جون ميشال فونتير دوبارادي الذي ولد يوم 08 ماي 1739م، بمرسيليا من أم يونانية وأب كان يعمل كترجمان في العديد من قنصليات فرنسا بالمشرق.[1]

أرسل فونتير إلى الجزائر عام 1788م، فاستفاد من أوقات فراغه في متابعة بحوثه حول البربرية التي أثمرت تأليفه لكتاب في قواعدها ومفرداتها ،[2] وشارك فونتير في حملة نابوليون بونابارت [3](Napoleon Bonaparte) على مصر عام 1798-1799م، حيث عهد إليه بكتابة بلاغاته الرسمية للشعب المصري، ولقد توفي فونتير بين عكا ويافا بعدما أصيب بمرض خطير.[4]

---

[1]-Venture de paradis, Tunis et Alger au XVIII[e] siècle, Sindibad, Paris, 1983, p09.

[2]-Venture de paradis, ibid. p10.

[3]-نابليون بونابارت، أو نابوليون الأول وهو قائد عسكري ولد بجزيرة كورسيكا بالبحر الأبيض المتوسط من عائلة ايطالية نبيلة ، وفي عام 1804 تم انتخابه من طرف مجلس الشيوخ والشعب الفرنسي إمبراطورا على فرنسا ،لمزيد من المعلومات أنظر: عبد العزيز نوار ومحمد جمال الدين، التاريخ الأوربي من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 275.

[4]-Venture de paradis, opcit, p10.

ويعتبر فونتير أحد أكبر مستشرقي القرن الثامن عشر ميلادي، فقد نادى بضرورة تشجيع دراسة اللغات الشرقية بفرنسا، وساعدت ملاحظاته القيمة حول السكان وحكامهم والحضر والبدو والتجارة والعملات والجيوش والدبلوماسية والقراصنة، في الإعداد للمغامرة الاستعمارية ضد شمال إفريقيا .[1]

وعن سكان الجزائر يقول فونتير:" معظم الجبال التي تمتد من مملكة السوس[2] حتى سهل القيروان تسكنها أقوام مستقلة، لم يستطع النظام الحاكم في الجزائر التغلب عليها وإخضاعها في وقت من الأوقات".[3]

أما في حديثه عن تدابير حفظ النظام في مدينة الجزائر، فيشير فونتير دو بارادي إلى أن الشرطة وضعت قانونا معمولا به وهو:" أن يأوي جميع السكان إلى مساكنهم بعد ساعة ونصف من غروب الشمس " ، وهو وقت صلاة العشاء وأي شخص عثر عليه في المدينة بعدها و دون فانوس يلقى عليه القبض.[4]

---

[1]-اعتراف صريح من جوزيف كوك، الذي جمع مذكرات وملاحظات فونتير وقدم لها، باستفادة الدول الاستعمارية من مؤلفات الأوروبيين الذين أقاموا لفترة ما تحت أي شكل من الأشكال في شمال إفريقيا، لاحتلال هذه الدول ونهب خيراتها، أنظر: الصفحة الأخيرة من الغلاف لكتاب فونتير دو بارادي.

[2]-مملكة السوس: نسبة إلى واد السوس جنوب المغرب الأقصى طوله 180كلم.

[3]-سيد علي بغداد، المرجع السابق، ص70.

[4]-نفسه، ص ص، 70-71.

ومن الرحلات الفرنسية أيضا خلال القرن 17م، رحلة بوتي دو لاكروا وهو من عائلة إستشراقية فرنسية كبيرة، تكلم دولاكروا عن الواقع السياسي و الاجتماعي للجزائر خلال هذه الفترة، فذكر: " ثراء الباشاوات وأن عددهم 49 باشا حكموا أسيادا وسيطروا مرات عديدة على تونس وطرابلس ولكن غالبيتهم تعرضوا للاغتيال".[1]

وللإشارة فإن العدد الذي قدمه الرحالة يختلف عما جاء في بعض المراجع، حيث قدر عددهم ب 43 باشا، خلال واحد وسبعون سنة من 1588-1659.[2] أما عن المنصب فقد كان يشتريه الباشاوات بالمال، لذلك كان همهم الوحيد هو جمع الثروة، [3] وعن نهاية حكمهم قال دو لاكورا: " أنه في عهد الحاج علي، أنهيت سلطة الباشاوات من طرف جيش المدينة بسبب جشعهم الغير مقبول."[4]،

كما تحدث عن حكم الدايات فذكر:" حاجي حسين المسمى "ميزو مورتو" والذي تدرب لسنوات عديدة على المسؤولية، فوجد فيه الباب العالي الرجل المناسب لرتبة داي الجزائر، لكنه سرعان ما أصبح مثل الباشاوات القدامى، فصار مكروها عند العامة، وقد تعرض لمحاولة قتل، فر على إثرها نحو تونس ثم إلى القسطنطينية، وفي سنة 1690م صار شعبان خوجة دايا على الجزائر، فاقترب راتبه من 106 إكيس في السنة، وهو الراتب الأعلى في مدينة الجزائر، وكان المتصرف الأول في أملاك الدولة، وتميز بكونه رجلا عاقلا يتخذ قراراته بنفسه، لكنه متعجرف ووقح لمن يقاومه وجيد مع ضباطه لأنهم يملكون القدرة على عزله، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفى في شهر جويلية 1695م."[5]

---

[1]-petis de la croix, un mémoire sur alger(1695), édition la typelitlio et Jale carbone, Alger, p9

[2]-سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830) ، رسالة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012، ص 33.

[3]-محمد بن سعيدان، علاقات الجزائر مع فرنسا (1070ه-1170ه /1659م-1756) ، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي، غرداية، 2012، ص 28.

[4]-petis de la croix, op.cit, p11.

[5]-ipid, pp ,11-13.

وتكلم بوتي دو لاكروا عن الواقع الاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني، فتطرق إلى الأرياف التي يسكنها العرب والذين يعيشون تحت الخيام، وهي مقسمة إلى قبائل وعائلات، وأن هناك عائلات عربية تعود جذورها إلى 900 سنة.[1]

وذكر ناصر الدين سعيدوني بأن سكان الأرياف يمثلون الأغلبية الساحقة من المجتمع ما بين 90% إلى 95% من مجموع السكان، وهذا ما جعل المجتمع الجزائري يأخذ طابعا ريفيا في معظم الجهات.[2]

أما عن فئة الأسرى المسيحيين فقال الرحالة الفرنسي" أن الآباء الإسبان كانوا يقومون بمساعدتهم، حتى يم تحريرهم عن طريق عملية الفداء"[3]، وأشار أبو القاسم سعد الله إلى ذلك :" وهو أن الأسرى المسيحيين يقدرون بالآلاف، فكان منهم الأدباء وأصحاب المهارات فكانوا يعملون في انتظار فديتهم وبعض هؤلاء الأسرى اعتنقوا الإسلام ." [4]

[1]-petis de lacroix،op.cit , pp9,15,18.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.... المرجع السابق، ص 48.

[3]-petis de lacroix،op.cit, p19.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830) مج1، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1998، ص150.

رحلة الأب بيير دان(pierre Dan)، وهي من الرحلات الدينية -كما سبق الإشارة إليها في الفصل الأول-وكانت رحلته إلى الجزائر يوم 12 جويلية 1634م، تحدث في الجزء الأول من كتابه على تاريخ القرصنة وشيوعها في إفريقيا، وخصص له ثمانية فصول وتناول فيه تفسير مصطلحي باربارياو و بارباري، مع وصف للبلاد وحكامها.[1]

وفي الجزء الثاني أشار الأب بيير دان إلى المدن القرصانية في شمال إفريقيا وأوضاعها وجزأه إلى 24 فصلا في خمس إخباريات،الجزء الأول حول الجزائر ودورها القرصاني، والجزء الثاني حول مملكة تونس ومدينتها وقراصنتها، والخبر الثالث تحدث عن ممالك المغرب ومدينة سلا ودورها القرصاني، والخبر الرابع خصص للمدن الإسلامية القرصانية الأخرى.[2]

وفي الجزء الرابع يشير المؤلف إلى أهمية العلوم ووضعيتهم في الجزائر، فخصص لهم 10 فصول كاملة، أما الجزء الخامس فتحدث المؤلف عن معاناة الأسرى المسيحيين وكيفية افتداءهم حيث وضع لهم 16 فصلا، ولهذا الكتاب أهمية كبيرة بالنسبة للباحث المهتم بتاريخ شمال إفريقيا وتاريخ الجزائر بشكل خاص، بفضل ما تضمنه من معلومات جديرة بالاهتمام خاصة وأنه اعتمد على العديد من المصادر المتنوعة والتي استغلها بفطنة.[3]

[1]-حميد آيت حبوش، أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر، جامعة وهران، ع 2، ص 74.

[2]-حميد آيت حبوش، المرجع نفسه، ص 75.

[3]-نفسه، ص 75.

ومن الرحلات المهمة أيضا خلال هذه الفترة، رحلة لوجي دو تاسي الذي عاش ما بين القرنيين السابع عشر والثامن عشر ميلادي، وتولى منصب أمين البحرية بهولندا.[1] زار الجزائر في عام 1685م.[2] وقد تعرض للأسر في حرب إسبانيا عام 1706م، تلقى معاملات قاسية، إذ صرح قائلا: " أفضل قضاء عشر سنوات كعبد في سجون الجزائر على أن أقضي سنة واحدة في سجون إسبانيا ".[3]

وخلل هذه الرحلة دون الأحداث التي عاشها بها،[4] ونشر كتابه لأول مرة عام 1725م.[5]

وأشار لوجي دو تاسي إلى الواقع السياسي للجزائر خلال العهد العثماني، ونذكر من ذلك أن الداي محمد بن حسن(1718م-1724م) تم انتخابه دايا بعد مرض الداي علي ويقول في ذلك الرحالة دو تاسي :" ففي ليلة الرابع آفريل اختير محمد وألبس القفطان من طرف مناصريه وفتحت أبواب قصره في الساعة المعتادة، وحضر جميع الضباط، وهذا التعيين للحاكم يختلف عما هو مألوف لأنه ليس دائما يكون انتخاب وتعيين الداي.[6]

---

[1]-ودان بوغفالة، المرجع السابق ص 60.

[2]-وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 262.

[3]-حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص 100.

[4]-أمال قروابي، حفصة برويلة، المرجع السابق ص 54.

[5]-جون، ب، وولف، المرجع السابق، ص 262.

[6]-Laugier، de tassy، histoire De royaume d'Alger Amsterdam Henri de Sauzet m dcc xxv، p214.

وقد شهدت فترة الداي محمد بن حسن صعوبات كبيرة خاصة مع السكان من خلال رفضهم دفع الضرائب والرسوم المفروضة، فحملوا السلاح ضده وأضطر الداي للتدخل لاستعادة النظام وفرضه، لكن السلام كان نسبيا فالانتفاضات نشبت بعد فترة قصيرة، وعرفت الإيالة خلال فترة حكم هذا الداي الفقر الشديد بسبب مخلفات الزلزال، بالإضافة إلى الجفاف الذي دام ست سنوات، وكذلك زحف الجراد فانتشرت المجاعة وانتشر الطاعون في سنة 1720م.[1]

وقد وصف لوجي دو تاسي حادثة مقتل هذا الداي بقوله :" خرج الداي محمد باشا كعادته لتفقد أمور الدولة، لكنه اغتيل من قبل خمسة أو ستة أتراك كانوا في انتظاره داخل بوابة إحدى الثكنات، حيث أصيب بطلق ناري بين كتفيه، فسقط دون أن ينطق بكلمة."[2]

وعن أخلاق وعادات الجزائريين يقول دو تاسي:" جميع الأقوام تعيش في مملكة الجزائر وأخلاقها في الغالب مختلفة وتتصف بالكثير من الخشونة والتكبر تجاه الأجانب باستثناء بعض موظفي الدولة وبعض التجار الذين يسافرون وكذلك الأشخاص الذين كانوا مستعبدين عند المسيحيين لذلك لم يكن اعتبار التربية السيئة والجهل هما السببان لهذا الاختلال."[3]

دامت مدة إقامة لوجي دو تاسي في الجزائر خمسة أشهر ونصف ليغادرها بعدها ، وقد سجل رحيله موضوع ملاحظة في سجل ديوان القنصلية ،و كان هذا الرحالة على اتصال مباشر مع واقع مدينة الجزائر .[4]

---

[1]-صبرينة حمدوش، وجواد شرقي، حكام الجزائر في الفترة العثمانية من خلال كتابات أجنبية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة، 2016-2017، ص 36.

[2]-Laugier, de tassy, opcit, p224.

[3]-سيد علي بغداد، المرجع السابق، ص58 .

[4]-نفسه، ص 59.

المبحث الثاني: الرحلات الألمانية

مثلت الرحلات الألمانية إلى الجزائر خلال العهد العثماني عددا كبيرا، فكان هذا امتدادا لمرحلة الكشوف الجغرافية، دونوا خلالها العديد من المعارف والمعلومات عن مدينة الجزائر خصوصا، وبقية المدن الساحلية والداخلية عموما، وقد شملت أبحاثهم خلال ذلك مختلف الميادين.

ومن أبرز الرحلات الألمانية خلال هذه الفترة رحلة العالم جوهان أرنست هابنسترايت،[1] الذي أوكلت له مهمة العناية بالنباتات النادرة،[2] فقد عين من طرف الملك أغسطس الثاني،[3] على رأس فرقة بحث في بلدان شمال إفريقيا، بغرض جمع الحيوانات والنباتات النادرة،[4] ووصلت فرقة البحث هذه إلى الجزائر يوم 16 فيفري 1732م،[5]

وتطرق صاحب الرحلة إلى ظروف إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية فقد قال: "أن الأتراك افتكوها من الإسبان[6] الذين كانوا يحتلون وهران، فدخلها الإخوة بربروس الدين... ولما توفي عروج إنتخب الجند أخاه خير الدين خلفا له، ومنذ ذلك أصبحت الجزائر من أملاك السلطان العثماني." [7]

---

[1]-هابنسترايت :درس الطب في شبابه بجامعة لينا(Lena) وتحصل على عمل بتوصية من عالم النبات ريفيناس (Rivinas)، اشتغل عند أحد التجار الأغنياء، وأوكلت له مهمة العناية بالنباتات النادرة، أنظر :ج، أو، هابنسترايت، رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر و تونس وطرابلس (1145ه -1732م) ، ترجمة وتقديم وتعليق، ناصرالدين سعيدوني، ط1، الغرب الإسلامي ، تونس،2007، ص14.

[2]-ج، أو، هابنسترايت ، المصدر السابق، ص13.

[3]-أغسطس الثاني :أمير سكسونيا وملك بولونيا (1697-1733م)، توفي بفرصوفيا سنة 1733، أنظر :زكريا العابد، المرجع السابق، ص54.

[4]-منير الفندري، هابنسترايت وبعثة أمير سكسونيا إلى شمال إفريقيا (1732-1733م)، المجلة التاريخية المغاربية، ع 35-36، تونس،1984، ص231.

[5]-ج، أو، هابنسترايت، المصدرالسابق، ص21.

[6]-من الحملات الإسبانية على الجزائر نذكر حملة بيدرو نافارو على المرسى الكبير 1505 وعلى وهران 1509 وبجاية وعنابة 1510. ينظر، يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 58.

[7]-ج، أو، هابنسترايت، المصدرالسابق، ص27.

كما تحدث هابنسترايت عن كيفية تعين الدايات بقوله: "لقد ظل الباي العالي يرسل إلى الجزائر الباشاوات، وعندما رفضهم الديوان،[1] أصبح الداي منذ ذلك اليوم صاحب السيادة في حكم الجزائر[2]"، و بين الرحالة أن قصر الداي يستعمل في نفس الوقت كقصر للعدالة، وكانت كلمة شرع الله لها في هذا المقام الوزن الكبير، أما في تنفيذ الحكم فتتم معاقبة الأتراك في سرية تامة حفاظا على كرامتهم، بينما تنفذ الأحكام علانية في الحضر وباقي الطوائف عند باب عزون،[3] وكان النظام القضائي في نصوصه يعتمد على الشريعة الإسلامية،[4]

وتطرق أيضا العالم الألماني إلى المقاطعات (البايلكات)، فتحكم من طرف البايات أو نواب الداي وتعطى لهم حرية التصرف،[5] وكان الجيش مكون من عناصر تركية، ويقسم كل سنة إلى ثلاثة أقسام، وتكون إقامة هؤلاء الجنود في ثكنات عددها ثمانية، والداي هو المسؤول عن دفع مرتباتهم.[6]

لقد ذكر هابنسترايت كل التفاصيل المتعلقة بالنظام السياسي والعسكري للجزائر خلال هذه الفترة، وهو ما تقارب مع معظم الكتابات المحلية أو الأجنبية.

أما أهمية الرحلة من الناحية العلمية، فقد قدم صاحبها وصفا لحيوانات ونباتات الجزائر حيث قال: " توجد أنواع مختلة من الحيوانات ، أما النباتات فبها الكثير من الحدائق وأشجار العنب والبرتقال واللوز وأشجار الزيتون والنخيل والأراضي صالحة جدا لكل أنواع الزراعة.[7]"

يشير ناصر الدين سعيدوني أن سهول قسنطينة ومتيجة كانت تنتج كمية كبيرة من القمح، أما زراعة الأشجار المثمرة ارتبطت بالمناطق الجبلية.[8]

[1]-الديوان: هو الذي يقوم بانتخاب الداي، وتختلف أهميته باختلاف شخصية هذا الداي وبراعته. ينظر: وليام شالر، المصدر السابق، ص 42.

[2]-ج، أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص28.

[3]-نفسه، ص38.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 22.

[5]-ج، أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص45.

[6]-نفسه، ص ص25-32.

[7]-نفسه، ص ص 50-51.

[8]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي.... المرجع السابق، ص114.

وتكلم الرحالة الألماني أيضا عن موارد الخزينة الجزائرية، خلال العهد العثماني، فهي تدخلها أموال ضخمة من فدية الأسرى المسيحيين، فكانت تشكل هذه العملية إحدى موارد الدخل الرئيسية، فكل أسير له قيمة محددة،[1] فقيمة العبد تختلف حسب مهنته وقوته، ففرنسا مثلا اشترت عبيدها من الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي بما قيمته 51 مليون فرنك قديم ،[2]

ومن المصادر المهمة لدخل الخزينة أيضا الغنائم البحرية، قال هبنسترايت :" تخرج سفن إيالة الجزائر للبحث عن الغنائم، [3]وأن هذا العمل قبل كل شيء هو شكل من أشكال الجهاد البحري،[4] وتكونت الغنائم التي تحصل عليها العثمانيون على العموم من السفن باختلاف أنواعها.[5]

ومما سبق ذكره يتضح لنا بأن الجهاد البحري إحدى ركائز الاقتصاد الجزائري، فقد ساهم بشكل كبير في ثراء خزينتها.

وفي الجانب العمراني بين هابنسترايت أن الجزائر شهدت حركة عمرانية كبيرة، وذلك من خلال قوله: " البياض الناصع لمنازلها ذات السطوح المشرفة على البحر، وهو الذي يكسبها منظرا متميزا فمنازل المدينة منتظمة، وبها غرف مستطيلة ، أما المساجد متقنة البناء منها عشر مساجد كبيرة ذات منارات.[6]"

وهذا ما يؤكده جون بول وولف بقوله: "إن في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي وجدت عشر مساجد كبرى وحوالي خمسين مسجدا صغيرا.[7]"

---

[1]-ج، أو، هابنسترايت، المصدرالسابق، ص42.

[2]-علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط 01، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، 1972، ص 289.

[3]-ج، أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص43.

[4]-كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص 38.

[5]-وليام شارل، المصدر السابق، ص43.

[6]-ج، أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص37.

[7]-جون بول وولف، المرجع السابق، ص ص153-154.

ومن الرحلات الألمانية المهمة أيضا، رحلة سيمون بفايفر الذي ولد في 09 سبتمبر سنة 1806م، بمدينة وورمس بمقاطعة راينيهس بألمانيا، درس الطب وسافر إلى هولاندا ودخل المدرسة البحرية وهي نوع من الثكنات العسكرية.[1]

تعرض سيمون بفايفر للأسر من طرف الإنكشارية[2] سنة 1825م، حيث ساروا به إلى مدينة أزمير، ثم أقلعت به السفينة رفقة آخرين إلى الجزائر، ووصلت بهم بعد خمسة وعشرين يوما ، إلتحق بعدها بقصرالخزناجي[3] وعمل طباخا عنده، ثم أصبح طبيبه الخاص، وبقي في هذا المنصب إلى غاية إطلاق سراحه وذلك قبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر.[4]

ومما ذكره بفايفر:"أنه في اليوم الذي سبق عيد الفطر من سنة 1828 م، حضر جميع القناصل الأوروبيين إلى القصر لتقديم التهاني بحلول العيد، فاستقبلهم الداي استقبالا حسنا، إلا أن القنصل دوفال، الذي أطلق العنان للسانه في حديث قد أجراه مع الداي في سنة1827م.[5]"

ويضيف سيمون في نفس الشأن قائلا:" أن الداي سأل القنصل إذا كانت قد وصلته من حكومته تعليمات بشأن النقاط التي فاوضهم فيها فأجاب القنصل بالنفي، وقال للداي أن حكومته تفضل أن ترسل أسطولها إلى الموانئ الجزائرية وترفع أعلامها فوقها لتكون عبرة للداي على أن نستجيب لمطالبه"[6]

---

[1]-سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم، أبو العيد دودوا، دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص 05.

[2]-الإنكشارية، أطلقت كلمة الإنكشارية على نوع من الجنود الجديدة أي مجموعة من فرق المشاة النظاميين، أنظر : جعفر بن صالح الغازي ، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط01، دار القاهرة، مصر،2007، ص ص21-23.

[3]-الخزناجي، يعين من طرف الداي بموافقة أعضاء الديوان ومن السمات التي يجب أن تتوفر في هذه الشخصية السامية الأمانة و أن يتمتع بثقافة تؤهله للقيام بواجبه ويرد اسمه في بعض الأحيان بالخزندار، وهو حارس الخزينة، أنظر :يمينة درياس السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط01، دار الحضارة، الجزائر،2008، ص42.

[4]-سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص ص 6-7.

[5]-سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص 38.

[6]-نفسه، ص ص38-39.

أما عن الواقع الاجتماعي فذكر بفايفر أن هناك العرب الرعاة، وهم من البدو يسكنون في السهول والوديان وفي الخيام، ولهم شيخ يحكمهم،و هذا الأخير وظيفته ليست وراثية .[1]

وكانت الزراعة عند العرب قليلة الأهمية، فكان يرتدي البدو من الجنسيين رداءاً صوفياً، ويتميز الرجال بالشجاعة والقامة المتوسطة، وهم هزيلو الجسم وذوي وجوه سمراء ومصفرة.[2]

ويتكلم سكان القبائل بلغة خاصة، فيفخرون بالحياة في الجبال، ولا يجرؤ أي باي من البايات على أخذ إتاوة منهم بالقوة، ويعيشون من الصيد وتربية الماشية وزراعة القمح، ويعتبر الزيتون والذرة الصفراء من أحب الأطعمة عندهم.[3]

[1]-سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص ص137-138.

[2]-نفسه، ص ص .140-146.

[3]-نفسه، ص ص.149-151.

وعن دخول الفرنسيين إلى الجزائر، يروي سيمون بفايفر:" أن الداي[1] وضف عددا من الجواسيس في مختلف الدول، حيث نقلوا إليه خبر تحضيرات فرنسا من أجل تأديب الجزائر، وبأنه سيحل في ماي 1830 م أسطول كبير، وسينزل في منطقة سيدي فرج"[2] مما أدى بالداي إلى إرسال الرسل إلى البايات وشيوخ القبائل يأمرهم بالاستعداد.[3]

وعند نزول الفرنسيين تولى إبراهيم آغا قيادة الجيش الجزائري، ومن الحوادث التي سمحت للفرنسيين بالانتصار هي انسحاب القبائل من المعركة، ليستولى الفرنسيون بعدها على المدفعية الجزائرية.[4]

وكان عدد القوات الفرنسية المشاركة في هذه المعركة حوالي سبعة وثلاثين ألف رجل،[5] وقد طلب ديبورمون من الداي الاستسلام، وبذلك تم توقيع المعاهدة مقابل الحفاظ على حياة الداي وممتلكاته، ودخل الفرنسيون المدينة وهم يدقون الطبول على أنغام الموسيقى.[6]

وقد دام أسر بفايفر في الجزائر خمس سنوات إلى غاية يوم 16 سبتمبر 1830 م، وبعدها عاد إلى بلده ألمانيا فكتب ونشر عام 1832 م مذكراته بعنوان:" رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر"، وتعتبر من أهم المصادر الهامة في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.[7]

---

[1]-الداي :كلمة تركية تعني الخال ولم تستخدم إلا للدلالة على عمل وظيفي في الجزائر وتونس، ينظر: حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط01، دار الهدى، الجزائر،2008، ص146.

[2]-سيدي فرج : تقع غرب مدينة الجزائر على بعد خمس ساعات، وقد استمدت اسمها من مرابط مدفون فيها داخل حصن صغير، أنظر: بفايفر، المرجع السابق، ص76.

[3]-سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص ص 65-66.

[4]-نفسه، ص ص 77-80.

[5]-أبوالعيد دودو، المرجع السابق، ص37.

[6]-سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص 37.

[7]-أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص14.

المبحث الثالث: رحلات أوربية متنوعة

مع مطلع القرن السادس عشر أصبحت الجزائر وجهة للعديد من الرحالة، فعلى غرار الفرنسيين والألمان، كان للإسبان والإنجليز والدانماركيين وحتى الهولنديين الإسهام الكبير في ترك العديد من الكتابات والانطباعات.

فالرحالة الإسباني، مارمول كربخال،[1] الذي ألف كتاب "إفريقيا" بعد أن اطلع على كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان،[2] حيث نقل منه فصولا كثيرة وألف كتاب "ثورة المورسكيين"[3] بغرناطة، ونشر عام 1600م،[4] وعن الجزائر تطرق الرحالة الإسباني إلى قدوم الإخوة بربروس،[5] فذكر:" أصولهم وبطولاتهم، وتحدث عن تنصيب خير الدين مكان أخيه عروج."[6]

وتشير المراجع في ذلك أنهم اتخذوا من جزيرة جربة في تونس ميناءا لأنفسهم،[7] كما أشار مارمول كاربخال عن قدومهم إلى الجزائر، أين وقع اختيارهم على ميناء بجاية الذي كان بأيدي المسيحيين، فهاجمه الإخوة بربروس برا وبحرا، لكن لم يحالفهم النجاح في ذلك وقد فقد عروج على إثر ذلك ذراعه.[8]

[1]-مارمول كربخال: ولد في غرناطة في أوائل القرن 16م، خرج من مسقط رأسه وهو حديث السن، سار مع جيش الملك شارلكان الذي غزى تونس عام 942ه/1535م، بقي مارمول كاربخال في شمال إفريقيا وذلك من أجل انجاز مهة كلفه بها ومكث فيها اثنين وعشرين سنة أنظر: مارمول كاربخال، إفريقيا، ج 2، ترجمة، محمد حجي وآخرون، مطابع المعارف الجديد، الرباط، المغرب، 1984، ص 4.

[2]-الحسن الوزان: ينتسب الحسن بن محمد الوزان الفاسي إلى قبيلة زناتية واقعة في أقصى بلاد غمار، سلسة جبال الريف المغربية، اهتم الرحالة بالملامح الإسلامية في القرى والأماكن التي زارها واعتزازه بالتعرف على حملة الشريعة الإسلامية. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 116.

[3]-المورسكيون: مصطلح يطلق على العرب الذين تنصروا في الأندلس بعد سقوط غرناطة، وأصل الكلمة تصغير لكلمة "مورس" ومعناها المسلمون الأصاغر رمزا إلى ما وصلت إليه الأمة الأندلسية من التراجع ينظر: علي أجقوعلي، دور قلعة الجهاد (مدينة الجزائر) في منع تكرار مأساة الأندلس في المغرب(1516-1541م)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، ع 56، السنة الرابعة عشر كانون الثاني يناير، 2007، ص 121.

[4]-مارمول كربخال، المصدر السابق، ص ص 5- 6 .

[5]-بربروس: وهم من جزيرة صقلية والبعض يزعم أنهم من لسبوص قامو بالقرصنة فحصلوا على عدد من العبيد والغنائم انظر،مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 304-305.

[6]- نفسه، ص 304-305.

[7]–عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى غاية 1962م، ج 01، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 25.

-كتاب وصف عام لإفريقيا الذي ألفه مارمول كاربخال في ثلاثة أجزاء، وتوجد ترجمة فرنسية قام بها نيغولا سمسون بباريس عام 1667م أنظر: جون ب-وولف، المصدر السابق، ص 463، كما ترجمه إلى العربية، محمد حجي وآخرون أنظر: إسماعيل العربي، بجاية من خلال النصوص الغربية، مجلة الأصالة، ع 19، الجزائر، 1974، ص 74.

[8]-مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 305.

ويضيف قائلا: "أن مدينة الجزائر كان يحكمها سالم التومي، ولما علم هذا الأخير بقدوم الإخوة بربروس وخشية قتله هرب مع أعضائه، فكتب إليه خير الدين يطلب منه العودة، ويخبره بأنه لم يأتي إلى المنطقة إلا ليحارب المسيحيين "[1].

ومما يمكن قوله في هذا الجانب أنه لما عظم شأن الإخوة بربروس تم الاستنجاد بهم لإنقاض الجزائر من الحصار الإسباني.[2]

ومن الملامح الاجتماعية التي ذكرها الرحالة الإسباني كاربخال والتي خص بها تلمسان، أن التجار اتصفوا بحسن الأخلاق والطيبة والوفاء، فكانوا يعتزون بحضارتهم وتنظيمهم، أما الصناع فهم أناس بسطاء لطفاء، يقومون بصناعة قمصان وزرابي فاخرة ومعاطف صغيرة وكبيرة، وعن فئة المحاربين يقول أيضا : "أنهم يفتخرون كثيرا بما لهم من وجاهة وشجاعة لكونهم يرافقون الحكام دائما، فكانت لهم امتيازات وإعفاءات عديدة بالإضافة إلى رواتب حسنة[3]".

ويتبين لنا من خلال هذا الطرح الذي ذكره الرحالة الإسباني أن هذا التفضيل بين الجند وغيرهم من عامة الناس كان وراءه ثورات وتمردات داخلية عديدة.

وللإشارة أن الحسن الوزان المعاصر لمارمول كاربخال ذكر أن التجار كانوا يرتدون لباسا جميلا نظرا لثرائهم، أما فئة الصناع فكان لباسهم قصيرا وينتعلون نعالا تصل حتى نصف الساق.[4] وعن فئة الطلبة يقول كاربخال: " كانوا أفقر الناس يعيشون عيشة بائسة في مدارسهم، لكنهم عندما يرتقون إلى درجة الفقهاء يعين كل واحد منهم أستاذا أو إماما، فيلبسون بعدها ثيابا مناسبة "[5].

---

[1]-مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 305.

[2]-عبد الله حمادي، جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الإسبان، مجلة المصادر، ع 06، محرم 1423ه، مارس 2002، ص 257.

[3]-مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 300.

[4]-الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 21.

[5]-مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 300.

ومن الرحلات الإنجليزية رحلة توماس شاو(Shaw)المولود سنة 1692م وهو من أصول انجليزية،تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1716م، ثم شهادة الفنون عام 1719م،[1]كان كاهنا بالوكالة الإنجليزية بالجزائر بين سنتي 1720م-1732م. وخلال رحلته هذه سجل العديد من الملاحظات عن تاريخ الجزائر.[2]

وتناول الدكتور شاو في رحلته الحديث عن الريف الجزائري والحياة البسيطة التي كان يعيشها سكانه، وكيف أنهم كانوا يعتمدون على أعمال جد بسيطة من أجل كسب قوت يومهم.[3]وتطرق أيضا إلى الحياة السياسية والإدارية، وركز في كتابه على الضرائب، وقام برسم خريطة الجزائر ووضح عليها معالم وحدود إيالة الجزائر خاصة حدود بايلك الشرق[4] الجزائري قسنطينة.[5]

---

[1]-Thomass Shaw, voyage dans la régence d'alger, ou description géographie, physique philogique, traduite par : J.Maccarthy, chez wrlui, éditeur, Paris, 1830, p05. .

[2]-احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجا) ، دار الهدى الجزائر 2009، ص 12.

[3]-Thomass Shaw, op.cit, p21.

[4]-بايلك الشرق الجزائري: بقسنطينة وهو من أكبر الأقاليم مساحة وسكانا وهو يتميز بخصوبته والاتساع ويعتبرهذا البايلك المجال الحيوي الذي تنتهي اليه طرق الصحراء أنظر: فلة قشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،1989-1990، ص2.

[5]-Thomass Shaw,op.cit, pp 149-189.

الفصل الثاني: نماذج من الرحلات الأوروبية

- ✓ **المبحث الأول:** الرحلات الفرنسية
- ✓ **المبحث الثاني:** الرحلات الألمانية
- ✓ **المبحث الثالث:** رحلات أوروبية متنوعة

المبحث الأول: ظاهرة الأسر في الجزائر خلال العهد العثماني.

إن عملية الأسر خلال العصور الحديثة كانت توجه في الغالب ضد أصحاب البشرة البيضاء أو ما يعرف بالرقيق الأبيض، وهنا يبرز الصراع الإسلامي المسيحي في البحر الأبيض المتوسط وهو الأمر الذي أعطى الشرعية لهذه الهجمات البحرية، فالمسلمون كانوا ينظرون دائما إلى هذه العملية على أنها " جهاد بحري " أما المسيحيون فرأوا فيها حروبا مقدسة [1].

ويشير ابن خلدون إلى ذلك قائلا:" أن سقوط غرناطة سنة 1492م أدى إلى هجرة العديد من الأندلسيين نحو سواحل المغرب الإسلامي، فأصبحت بذلك مدنه مركزا للقرصنة ومنها هاجموا سواحل أوربا لتصبح بعدها المنطقة تزخر بأعداد كبيرة من الأسرى.[2]

ولم يقتصر الأسر خلال هذه الفترة على الهجمات القرصانية بل تجاوزه إلى المعارك والحملات البحرية، فمثلا خلفت معركة لابريفيزا سنة 1538م بين الإسبان والدولة العثمانية عددا هائلا من الأسرى، وحين هاجم أندري دوريا شرشال بأمر من شارل الخامس أسر الجزائريون خلالها 600 فرد إسباني نتيجة انهزامهم في هذه المعركة الب حرية.[3]

ويمكن أن نفسر تطور ظاهرة الأسر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين إلى حاجة السفن الحربية والتجارية للمجذفين والتي كانت تحتاج مابين 150 الى 240 مجذفا. [4]

---

[1]-بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015-2016ص51

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح، خليل شحادة، ج6، دارا لفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص578.

[3]-خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر، محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص178.

[4]-بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر..... المرجع السابق، ص57.

وكان السجن هو المبنى الذي يقيم فيه الأسرى، ويعرف ب البانيو(Le bagne) ، وتعني الحمام، إذ في البداية كان السجناء يسجنون في الحمامات خلال فترات الليل، ولما زاد عددهم أقيمت لهم مباني خاصة بهم.[1]

والبانيو عبارة عن بناية تتكون من ساحة داخلية وغرف تتسع إلى خمسة عشرة إلى عشرين شخصا ولا يوجد أي قطعة أثاث داخلها، فينام الأسرى فوق حصائر منسوجة من القصب أو الحلفاء.[2]

وأنشئت للأسرى المسيحيين سجون خاصة بهم، وهي التي لم تكن موجودة مع أوائل القرن السادس عشر حيث كان يسمح لهم بالتجول بحرية في وسط المدينة، ولكن مع أواسط القرن السادس عشر كان كل الأسرى التابعين للدولة أو الخواص، يتم سجنهم، فكان هناك نوعين من السجون إذا، سجون البايلك،[3] التابعة للدولة، وسجون الخواص التابعة لملاك الأسرى الأغنياء.[4]

---

[1]-نادية مباركي، المرجع السابق، ص 237.

[2]-كورين شوفالية، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510-154م)، تر، وتح، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 58

[3]-سجون البايلك: يعود تأسيسها إلى القرن 16م وتزايد عددها بزيادة عدد الأسرى، لمزيد من المعلومات ينظر: مباركي نادية، الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين(10-11ه/16-17م) من خلال مرافقها الحضارية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، الجزائر، 2005-2006، ص 215.

[4]-بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر.... المرجع السابق، ص ص 256-257.

وهناك ثلاثة أنواع من السجناء، النوع الأول وهم أسرى الداي الذين يعيشون داخل جدران القصر بوسط المدينة، فلا يمكنهم الهروب لأن هناك باب واحد يؤدي إلى إقامة الداي،[1] وأثناء دخولهم يؤخذون إلى حمام ساخن ويقوم بغسلهم أسرى مسيحيون آخرون ويمنحون أقمصة مفتوحة الأكمام وسراويل تركية واسعة وأحذية وطرابيش حمراء.[2]

وعن طعامهم يقول بفايفر:» فقد كان فضلات المطبخ، وما تبقى فوق مائدة الوزير أو السادة الآخرين من أهل البيت. "[3]

ويكون أغلب الأسرى الذين يختارهم الداي من الشباب والوسماء الذين يقومون ب خدمته،[4] وتقع شققهم على امتداد دهليز بالقرب من المخازن المخصصة للتدبير المنزلي،[5] وأعمالهم لا تتطلب جهداً كبيراً، فهم يقومون بتنظيف المطبخ وغرف القصر فقط، وقال كاثكارت في ذلك: "أن حالة الأسرى الذين يعملون في القصر أفضل بكثير من غيرهم[6]".

---

[1]-بلقاسم قرباش، بانيوات الأسرى المسيحين في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830)، دراسات تاريخية، 2013، ع 03، ص 223.

[2]-جيمس كاثكارت، المصدر السابق، ص 22.

[3]-سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 16.

[4]-بلقاسم قرباش، بانيوات الأسرى المسيحيين.... المرجع السابق، ص 233.

[5]-جيمس كاثكارت، المصدر السابق، ص 93.

[6]-نفسه، ص ص، 26-27-28.

أما أسرى الخواص فقد كانت سجونهم هي مرقدهم ، ففي النهار يتدبر الأسير أمره في الحصول على المال مقابل أن يمنح سيده نسبة معينة من هذا الدخل، ولأجل ذلك كانوا يمارسون السرقة وكل أنواع السفالة، تعرض المواد المسروقة للبيع في اليوم الموالي صباحا في مزاد علني عمومي،[1] وتختلف حالتهم وعملهم عن حالة الأسرى الذين سبق ذكرهم، ذلك أن كثيرا من مالكيهم الحضر والأعلاج،[2] كانوا يرونهم بمثابة استثمار فقد أسكنوا أسراهم في سجن خاص، وقد يقوموا بتأجيرهم كعمال لأي شخص يحتاج اليد العاملة، أو يتركوهم يديرون أعمالهم بأنفسهم.[3]

وهناك نوع آخر من الأسرى وهم أصحاب المواهب والنجارين والبنائين والأطباء والجراحين، فكانوا ذا قيمة مرتفعة يعاملون معاملة حسنة، ويعيشون حياة جيدة، كما أن وضعية هؤلاء السجناء ترتكز على نوعية المالك نفسه.[4]

[1]-جيمس ويلسن ستيفان، أسرى الأمريكان، منشورات تالة، الجزائر، 2008، ص 216.

[2]-الأعلاج: هم العجم، توافد عدد هام منهم في العهد الأول من إيطاليا سيما من كورسيكا، كما امتهن الأعلاج نشاطات وحرفا متنوعة خاصة التجارة، ينظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيين بمدينة الجزائر(1700-1830م)، ج 01، الجزائر، 2001-2002، ص ص 17-18.

[3]-جون ب -وولف، المرجع السابق، ص 230.

[4]-بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ..... المرجع السابق، ص230.

المبحث الثاني: أوضاع وكتابات الأسرى الأوربيين عن الجزائر خلال العهد العثماني

تميزت الفترة العثمانية بالجزائر عموما بسوء الأحوال الصحية، ويعود سببها إلى انتقال وانتشار الأمراض الوبائية من الأقطار الخارجية،[1] وفي ضل غياب إجراءات وقائية كان الناس يلجئون إلى الطب الشعبي.[2]

وكانت حملات الوباء هذه تحصد أرواحا كثيرة بما فيها أعدادا كبيرة من السجناء، وأمام هذا الوضع عملت المستشفيات المسيحية بالجزائر على تقديم الإسعافات الممكنة لهؤلاء الأسرى المتضررين، بالإضافة إلى التكفل بإجراءات دفنهم.[3]

وكان جميع العبيد المسيحيين يقبلون على المستشفيات ويعالجون في قاعة واسعة، وينامون على أفرشة محشية بالصوف، كما توجد غرف خاصة يوضع فيها العبيد الذين يخدمون الداي ورجال الحاشية، مراعاة لمكانة أسيادهم،[4]

ومنحت الحرية لرجال الدين المسيحيين لتحسين وضعية الأسير ولاسيما في الميدان الصحي، حيث حرصوا على ترميمهم المستشفيات.[5]

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية..... المرجع السابق، ص 415.

[2]-مصطفى خياط، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 50.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ج 2، ص ص 126-127.

[4]-جيمس كاتكارت، المصدر السابق، ص ص 102-103.

[5]-مباركي نادية، البانيوات بمدينة الجزائر خلال القرنين (10ه-16م/11ه-17م)، سجون مغلقة أم فضاءات مفتوحة على التسامح الديني، مجلة الحكمة، 2016، ع 05، ص 247.

لقد أولت الدول الأوربية إهتماما كبيرا برعاياها الذين وقعوا في الأسر، منذ النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي، ففي سنة 1531م أسس مستشفى به خمسة أسرة ثم أضيفت له ثلاثة أخرى سنة 1612م،[1] وكان جميع الأسرى الأوربيين يقصدونه غير أنه كان يغلق في نفس الوقت الذي تغلق فيه أبواب السجون مع غروب الشمس. [2]

وقد ساهم الأثرياء الإسبان والقناصل بالمال، في توسيع هذه المستشفيات وتطويرها،[3] فمع نهاية القرن السابع عشر ميلادي وجدت مصادر أخرى ثابته للتموين، وتتمثل في دفع المرضى لمبلغ من المال يوميا، ليتلقوا العلاج إضافة إلى مساهمة المسيحيين الأحرار والتجار المقيمين في مدينة الجزائر. [4]

[1]-جيمس كاثكارت، المصدر السابق، ص 102.

[2]-نفسه، ص 103.

[3]-خشمون حفيظة، المرجع السابق، ص ص 128 -129.

[4]-عثمان بوحجرة، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014-2015، ص 59.

وقد أشار هابنسترايت في مقارنة بين حالة الأسرى الأوروبيين في الجزائر والأسرى المسلمين في أوروبا، فالمسلمون لا يستطيعون جر أغلالهم الثقيلة إلا بشق الجهد، بينما الآخرون وهم الأسرى المسيحيون في الجزائر يقضون نهارهم أحرارا مقابل دفع مبلغ مالي كل شهر، ليطلب منهم في المساء التوجه إلى مقراتهم التي لم تكن أبدا مريحة بالنسبة لهم.[1]

وكان يسمح للمسيحيين المقيمين في البلدان الإسلامية، بإقامة مصليات صغيرة في سجونهم، تدار من قبل رجال الدين الأوروبيين خاصة الإسبان، وتوفر لهم مقابر يدفنون فيها على حساب طقوسهم، على عكس ما كان يحدث للمسلمين في فرنسا مثلا، فالحركة كانت محددة،[2] وتبدأ أشغالهم من بزوغ النهار وتستمر في الفراغ من تأدية الفريضة الدينية للأتراك ساعتين ونصف قبل غروب الشمس، وكانت تمنح لهم نصف ساعة لتناول وجبة العشاء والتي هي عبارة عن قطعتين صغيرتين من الخبز الأسود.[3]

[1]-هابنسترايت، المصدر السابق، ص 46.

[2]-بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر.... المرجع السابق، ص 139.

[3]-عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900)، طبعة منقحة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 34.

من أبرز الشخصيات التي أسرت في الجزائر، الإسباني الشهير ميقال دي سيرفانتاس، مؤلف رائعة دون كتشوت، الذي أسر في البحر رفقة أخيه، وبعد إقامته مدة من الزمن في إسطنبول حول إلى الجزائر وظل أسيراً بها لمدة خمسة أعوام، وأهم كتبه «معتقلات الجزائر وحياة الجزائر" كما تعرض لوضع الأسرى في كتابه" دون ك تشوت[1]".

وهناك شخصية تيدنا ولد عام 1758م، في يوزيس لانغودوك، من عائلة كاثوليكية، إشتغل خزناجي في بايلك الغرب بمعسكر، بعد أن اشتراه الباي محمد الكبير الذي كان يحتاج إلى شخص مثقف ومخلص لإدارة منزله، فبقي في قصره وفي خدمته مدة ثلاثة أعوام.[2]

وتكاد تكون مذكراته الوحيدة التي تعطينا معلومات عن المنطقة الغربية من الجزائر في القرن الثامن عشر، وتتبين قيمة هذه المذكرات فيما قدمه تيدنا من معلومات عن حياة المجتمع الجزائري في الداخل بعيدا عن الساحل، وقد عرفنا بشخصية محمد الكبير باي[3] معسكر الذي أخذ وهران من الإسبان.[4]

[1]-عمار عمورة، المرجع السابق، ص 178.

[2]-احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص ص 24-25.

[3]-تولى محمد الكبير، منصب الباي في عهد الداي محمد عثمان باشا(1766-1791)، ومنحه هذا الداي لقب الكبير بعد انتصاره ودخوله وهران نهائيا واتخاذها عاصمة البايلك، ينظر: احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 25.

[4]-نفسه، ص 89.

وتمثل رواية ماريا مارتين،(Maria Martin) إحدى أهم المؤلفات الفرنسية عن حالة الأسرى في الجزائر، فقد كان مالكها رجلا مسنا قبيح الوجه، قصيرا وملطخا بالأوساخ، اشتراها من سوق العبيد، وقام القاضي بتسجيلها كملكية خاصة به.[1]

والأسير الأمريكي أدريان من مواليد 1758م، ألقي عليه القبض في الجزائر في 30 جويلية 1785م، وبقي أسيرا 10 سنوات و40 يوما، وأطلق سراحه عند إبرام معاهدة السلام والصداقة بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية في 5 سبتمبر 1795م.[2]

[1]-بلقاسم قرباش، الكتابات الغربية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر العثماني، دورية كان التاريخية، ع 3، مارس 2014، ص 123.

[2]-على تابليت، بحوث في تاريخ الجزائر الفترة العثمانية، منشورات تالة، ج 1، الجزائر، ص 99.

أما الدنماركي هارك ولفس، الذي وقع في الأسر وعمره 15 سنة، فبيع في سوق العبيد، وانتهى به المطاف أسيرا عند الباي في قسنطينة لمدة 14 سنة، تولى خلالها مهاما عديدة لعل أبرزها ضابط في جيش الباي 1728م، ورتبة آغا الدائرة عام 1832م، وشارك في الوفد الرسمي إلى المغرب الأقصى عام 1724م، وتدرج في المناصب حتى أصبح وزيرا.[1]

والأسير الهولندي جيريت ميتزون الذي ولد عام 1769م، حيث أسره البحارة الجزائريون عام 1814م، ولم يطلقوا سراحه حتى عام 1816م، ألف كتابا بعنوان" يوميات أسر في الجزائر(1814-1816م)" ونشره عام 1817م،[2] وقد كلف هذا الأسير بالعمل في ورشة الأشرعة،[3] ويذكر: " أنه أمر مرة بالعمل في سفينة مشحونة بالحجارة، قام بإفراغها وسحبها إلى رصيف وحده، قصد بناء مقهى جديد".[4]

[1]-احميدةعميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 28.

[2]-جيريت ميتزون، يوميات أسر في الجزائر (1804-1816)، ترجمة فرنسية بوسكي (ج، ه) وبوسكين ميراندول، ج، ق، ترجمة عربية لزروال محمد، دار هومة، الجزائر، 2011، ص 34.

[3]-جيريت ميتزون، المصدر نفسه، ص 35.

-يمثل هذا الكتاب مصدرا مهما، لأن الأسير أورد معلومات عن الأوضاع العامة في الجزائر خلال هذه الفترة وإلى نمط المعاملة التي كان الأسرى يلقونها على أيدي الجزائريين، من الأسرى أيضا الشاعر الإيطالي، نيوفينيزيانو: هو شاعر صقلي له شهرة في الأدب الإيطالي، أحتجزت سفينته عام 1578م، وفي سجون الجزائر التقى مع الأسير الإسباني ميقيل دي سرفانتينيس، وقد ألف قصيدة مشهورة عنوانها شيليا(la celia)، عالج فيها موضوع الأسرى الأوربيين في الجزائر، لمزيد من المعلومات أنظر: سعيود إبراهيم، جهود الكنيسة البابوية في تحرير الأسرى الأوربيين في الجزائر خلال العهد العثماني(مقاربة تاريخية)، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجزائر،(ع 15-16)، مارس 2017، ص ص 428-429.

[4]-بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر .... المرجع السابق، ص132.

كما يمكن إبراز دور الأسرى المسيحيين في العلاقات الجزائرية الخارجية، من خلال التقارير السرية الإسبانية عن حالة الجزائر وما جاء فيها:" ...وهذه أنباء وردت علينا من مدينة الجزائر نقلها لنا ستة من العبيد المسيحيين، الذين تمكنوا من الفرار وغادرو الجزائر، حيث أشاروا أن بها ألفان من الأتراك وسبعة أو ثمانية ألاف مهاجر أندلسي، وأخبرنا هؤلاء الأسرى المذكورين أن الأمطار الغزيرة التي انهمرت في فصل الشتاء، قد هدمت سور المدينة في ثلاثة جهات."[1]

ولعل هذا ما يوضح دور الأسرى في التجسس لصالح دولهم وإعطاء معلومات للجنود الإسبان ومراقبة تحركات أعدائهم بقصد إفشال مشاريعهم والتقليل من منافستهم التجارية في البحر الأبيض المتوسط ولإعداد خطط غزو الجزائر.

وغالبا ما تتسبب تلك التقارير في توتر العلاقات بين الدول مما يدفع كل منها إلى القيام بحملات عسكرية ضد الأخرى حيث توالت الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر طول الفترة العثمانية .[2]

وكما كان الأسرى يقومون بعملية الاستغاثة عن طريق إرسال الرسائل إلى دولهم، لتتدخل وتقوم بحمايتهم، وأبرز مثال على ذلك توتر العلاقات الانجليزية الجزائرية بعد مدة طويلة من السلم، حيث طالبت عدة رسائل من الأسرى الإنجليز الموجودين في سجون الجزائر بلدانهم بتحريرهم. [3]

وبعد سنة 1634م قدر المؤلف الإنجليزي هنري ولسن عدد الأسرى بخمسة آلاف أسير وهو الذي ألف بدوره كتابا بعنوان " تحرير ونجدة الأسرى الإنجليز " وقد دعا فيه إلى حرب شاملة ضد الجزائر. [4]

ولعب أسير فرنسي دور الوسيط بين الجزائر وبلاده لعقد معاهدة، كان الهدف منها تحرير الأسرى بالدرجة الأولى ولحماية التجارة الفرنسية في البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى .[5]

ومما سبق نستنتج أن هؤلاء الأسرى بالرغم من دورهم الإيجابي في الملاحة البحرية عن طريق بناء السفن أو ممارسة التجذيف أو حتى عائدات افتدائهم من طرف بلدانهم كان لهم دور آخر في توتر العلاقات الخارجية بين الجزائر ودول أوربا.

---

[1]-احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 258.
[2]-يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوربا 1500-1830، المرجع السابق، ص 45.
[3]-احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 394.
[4]-جون ب-وولف، المرجع السابق، ص 303.
[5]-عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر، رسالة ماجستير، في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 19841985، ص59.

المبحث الثالث: قراءة في أهمية كتابات الأوروبيين لتاريخ الجزائر العثمانية

للرحلات قيمة تعليمية حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين، إن كتابات الرحالة الأوربيين أيا كانت توجهاتهم الفردية وتنوعاتهم الشخصية تصور إلى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه.[1] وإن أصحاب المذاهب والمناهج التاريخية في العصور اليونانية والرومانية والإسلامية وفي العصور الحديثة اتبعوا عدة وسائل وقواعد في كتابة التاريخ، ومنها المشاهدة العينية وجمع المواد التاريخية من المحفوظات والمصادر المتوفرة، والاعتماد على الرحلات وكتبها .[2]

فالرحلة وسيلة هامة لكتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني بل أنها من مصادره الأولية، فإن كان موضوع الدراسة عن الجزائر في العهد العثماني كما هو الحال في هذا البحث، فهي إذا مصدر أولي أو مصدر معاصر، وعندما زاد على إقبال الأوربيين على الرحلة تنوعت الأغراض وتعددت الموضوعات وتطور هذا الفن الأدبي كما كيفا .[3]

ولم تكن صورة الجزائر واضحة خلال القرن الثامن عشر ميلادي، ولكن أغلب ملامح هذه الصورة رسمها الأوروبيون من خلال رحلاتهم.[4]

فكان هؤلاء الرحالة متعددي الاهتمامات والتخصصات، الأمر الذي يجعل المادة الخبرية المدونة ثرية.[5]

---

[1]-حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، علم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1989، ص 15.

[2]-حسان حلاق ومحمد منير سعد الدنيا، «المناهج العلمية في كتابة الرسائل الجامعية»، دار بيروت المحروس، بيروت، 1994، ص ص 80-81.

[3]-خميسي محمود حسين، «دراسات في آداب الرحلة عند العرب»، مجلة الأصالة، الجزائر، 1976، ص 91.

[4]-احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر .... المرجع السابق، ص 09.

[5]- نفسه، ص 13.

وأصبحت الرحلة من الأهمية بما كان، بحيث لا تكتمل ثقافة الإنسان بدونها.[1] بل إن كان الرحالة كاتبا قديرا، فالقارئ كأنه يرى الأشياء رأي العين ويحسب نفسه مرافقا للرحالة، وبالإضافة إلى ذلك يتمتع بأدبه وأسلوبه.[2]

فالرحلة تشكل ثروة معرفية كبيرة فضلا عن كونها مادة سردية مشوقة تحتوي على الطريف والغريب مما التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى.[3]

وقيمة الرحلات الأوروبية تكمن بلا شك في الجانب العلمي، لما تحتويه على معارف تاريخية وحتى جغرافية واقتصادية واجتماعية وغيرها مما يدونه الرحالة وهو في قلب الأحداث، خاصة إذا كان منفصلا متجردا من الأحكام المسبقة المبنية على الأوهام والأباطيل، فينقل الواقع بصدق وأمانة علمية بعيدا عن الكذب والتزوير،[4]

ويكن أن تصف لنا هذه المؤلفات الواقع اليومي المبتذل الذي لا يعبأ به الكاتب ولا يدونه ونحن نعلم ما لهذه الأحداث التاريخية من أهمية فائقة، كما أن معظم الرحالة الأوروبيون ليس لهم ارتباط برجال السياسة المحليين ولا بالمصالح المادية المحلية، فيمكن لهم التجرد إزاء هذه السياسة أو هذه المصالح، ومن هنا تتضح أهمية هذه المصادر أكثر.[5] وتعتبر الرسائل التي كان يبعث بها الأسرى إحدى أهم المصادر في هذا الموضوع، كونهم يبعثون بها إلى أهاليهم أو إلى حكوماتهم ما يجعل أعمالهم مهمة لتحليل نفسية الأسير وطبيعة نظرته للأسر والجزائر.[6]

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، أدب الرحلة، مقال نشر في جريدة النصر، يوم 22-11-2010.

[2]-محمد رضى الرحمن القاسمي، الرحلة وأدبها في اللغة العربية، دراسة تاريخية، ص 14.

- اعتمدت المدرسة الفرنسية الإستشراقية، في كتابة تاريخ الجزائر بالدرجة الأولى، على مصادر غربية وأرشيفات أوروبية متعددة اللغات، متجاهلة المصادر المحلية، وكان للرحلات الأوروبية أهمية كبيرة في هذا الجانب.

[3]-الأمير محمد علي باشا، الرحلة الشامية(1910م)، قدمها علي أحمد كنعان، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2002، ص 09.

[4]-أبو العيد دودو،"المؤرخون الألمان والجزائر"، مجلة الأصالة، ع14-15، الجزائر، 1974، ص 118.

[5]-محمد الهادي لشريف، المصادر الأوروبية لتاريخ المغرب الحديث، المجلة التاريخية المغربية، ع31-32، تونس، 1983، ص 520.

[6]-بلقاسم قرباش الأسرى الأوربيون في مدينة الجزائر .... المرجع السابق ص132

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع الجزائر في أدبيات الرحالة والأسرى الأوروبيين خلال العهد العثماني يمكن أن نستخلص أهم النتائج:

- تعدد تعاريف الرحلة في اللغة و الاصطلاح ، فكانت الرحلة إذا صفة ملازمة للإنسان منذ القدم وتتعدد معانيها كالانتقال والسفر والحركة وتكون إما فردية أو جماعية لأهداف معينة

-واختلفت أنواع الرحلات الأوروبية باختلاف التصنيفات والغايات ومنها الرحلة الاضطرارية والرحلة العلمية والرحلة السياسية والرحلة الدينية و، تعتبر كتابات الرحالة من الأساسيات التي يجب على الباحث في تاريخ الجزائر العثماني الرجوع إليها.

-كما تعددت دوافع الرحالة الأوروبيين بتعدد الوجهات والأهداف فكانت الجزائر مقصدا للكثير منهم طيلة ثلاثة قرون، دونوا خلالها ملاحظاتهم عن البلاد ومختلف جوانب الحياة بها ومنها ما كانت موضوعية ومنها ما كانت أقرب إلى ذلك ومن خلال اختيارنا لنماذج من الرحالة تبين لنا تركيزهم على مدينة الجزائر.

ومن الرحالة الذين تطرقنا إليهم المؤرخ الإسباني مارمول كارخال والفرنسي فونتير دو بارادي والعالم الألماني جوهان هابنسترايت.

كما اتسمت كتابات الرحالة الأوروبيين في الجزائر بالتنوع، في المعالجة وذلك باختلاف الفترة التي عاشوا فيها بالجزائر.

وتميزت كتابات الرحالة بالوصف الدقيق باعتبارهم عايشوا الأحداث فأسهبوا في الحديث عن الواقع السياسي والاجتماعي والإقتصاي والعسكري والعمراني والديني.

إتفق معظم الرحالة الأوربيين في كتاباتهم عن تاريخ الجزائر، بين 1519و1830م خاصة إذا جئنا الى فئات المجتمع، فكلهم أجمعوا على أن الأتراك هم الفئة التي تعتلى الهرم

الاجتماعي وتحظى بالعديد من الامتيازات وذلك رغم قلتها في المقابل تمسك المجتمع الجزائري بعاداته وتقاليده.

نستنتج أيضا أن ما دونه الرحالة تم العناية به جيدا من طرف القوى الاستعمارية التي ظهرت خلال هذه الفترة، ليستغل أثناء تنفيذ الحملات العسكرية ومنها على الجزائر عام 1830م، فكثير من الرحلات إذا استغلت في جانب الجوسسة لصالح الدول الأوروبية.

أما عن الأسرى الأوروبيين فأعمالهم هي تصوير لمعاناتهم، مع نسيان معانات الأسرى المسلمين في الجهة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، والسخرية من الشعائر الإسلامية والطعن في معتقدات الجزائريين، وتصوير الجزائر على أنها وكر للقرصنة وأمة متخلفة.

وأن حرية الأسرى المسلمين كانت محدودة في السجون الأوروبية على عكس الأسرى الأوروبيين الذين كانوا يقضون نهارهم أحرارا في الجزائر.

وفي الأخير نستنتج أنه ومن الضروري عند الخوض في تاريخ الجزائر العثمانية، أن نطلع على كل ما كتبه الرحالة والأسرى والذين هم دخلاء عن المجتمع الجزائري، أقاموا بين أحضانه فترة من الزمن تركوا من خلالها انطباعاتهم التي أصبحت مصدرا مهما في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية، ففي هذه المؤلفات شهادات وأوصاف وتواريخ مضبوطة وإحصاءات دقيقة وقوائم للحكام وتحليلات لأحداث خطيرة، لا نجدها في غير هذه الكتب.

فهرس المحتويات.....

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
تشكرات	
مقدمة	**أ–ث**
الفصل الأول: الرحلات الأوروبية (التعريف والأنواع والدوافع)	**19–6**
المبحث الأول: تعريف الرحلة	**7–6**
1–لغة	**6**
2–اصطلاحا	**7**
المبحث الثاني: انواع الرحلات الأوروبية	**11–8**
1–الرحلة الفردية	**9–8**
2–الرحلة السياسية	**10**
3– الرحلة السفارية	**10**
4–الرحلة الاضطرارية	**11**
5–الرحلة الدينية	**11**
المبحثالثالث: دوافع الرحلات الأوروبية	**19–12**
1–الدوافع السياسية	**15–12**
2–الدوافع الانسانية والدينية	**17–16**

فهرس المحتويات.....

3-الدوافع السياحية والاقتصادية	**19-18**
الفصل الثاني: نماذج من الرحلات الأوربية	**36-21**
المبحث الاول: الرحلات الفرنسية	**27-21**
المبحث الثاني: الرحلات الألمانية	**33-28**
المبحث الثالث : رحلات أوربية متنوعة	**36-34**
الفصل الثالث: الأسرى الأوربيون وكتابتهم عن الجزائر خلال العهد العثماني	**50-38**
المبحث الأول: ظاهرة الأسر في الجزائر خلال العهد العثماني	**41-38**
المبحث الثاني: أوضاع وكتابات الأسرى الأوربيين عن الجزائر حلال العهد العثماني	**48-42**
المبحث الثالث: قراءة في أهمية كتابات الأوربيين لتاريخ الجزائر العثمانية	**50-49**
خاتمة	**53-52**
قائمة المصادر والمراجع	**61-55**
الفهرس	**64-63**